

مهرجان القراءة للجميع

الروائع

مكتبة

الأسرة

2000

نارك الملائكة

المختار
من شعر

الطبعة الثانية



الهيئة المصرية
العامة للكتاب

المختار من شعر
نازك الملائكة

بالتعاون مع منظمة اليونسكو
(كتاب في جريدة)

المختار من شعر
نازك الملائكة

الطبعة الثانية

إعداد وتقديم : د. سمير سرحان
د. محمد عناني



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٠
مكتبة الأسرة
برعاية السيدة سوزان مبارك
(الروائع)

الجهات المشاركة:	المختار من شعر نازك الملائكة
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية	إعداد وتقديم: د. سمير سرحان
وزارة الثقافة	د. محمد عناني
وزارة الإعلام	الغلاف
وزارة التعليم	والإشراف الفني:
وزارة الإدارة المحلية	الفنان : محمود الهندي
وزارة الشباب	المشرف العام :
التنفيذ : هيئة الكتاب	د. سمير سرحان

على سبيل التقديم

«كتاب لكل مواطن ومكتبة لكل أسرة، تلك الصيحة التي أطلقتها المواطنة المصرية النبيلة «سوزان مبارك» في مشروعها الرائع «مهرجان القراءة للجميع ومكتبة الأسرة، والذي فجر ينابيع الرغبة الجارفة للثقافة والمعرفة لشعب مصر الذي كانت الثقافة والابداع محور حياته منذ فجر التاريخ.

وفي مناسبة مرور عشر سنوات على انطلاق المشروع الثقافي الكبير وسبع سنوات من بدء مكتبة الأسرة التي أصدرت في سنواتها الست السابقة «١٧٠٠» عنواناً في حوالى «٣٠» مليون نسخة لاقت نجاحاً واقبالاً جماهيرياً منقطع النظير بمعدلات وصلت إلى «٣٠٠» ألف نسخة من بعض إصداراتها.

وتنطلق مكتبة الأسرة هذا العام إلى آفاق الموسوعات الكبرى فتبدأ بإصدار موسوعة «مصر القديمة» للعلامة الاثرى الكبير «سليم حسن» فى «١٦» جزءاً إلى جانب السلاسل الراسخة «الابداعية والفكرية والعلمية والروائع وامهات الكتب والدينية والشباب، لتحاول أن تحقق ذلك الحلم النبيل الذى تفوده السيدة: سوزان مبارك نحو مصر الأعظم والأجمل.

د. سمير سرحان

تصدير

تقدم مكتبة الأسرة هذا العام مختارات من شعر الشاعرة الكبيرة نازك الملائكة التي ارتبط اسمها بحركة التجديد في الشعر العربي الحديث ، وأصبحت نظرياتها الرائدة في شعر التفعيلة (أو الشعر المرسل) و «البحور الصافية» من أسس الإبداع الشعري في مرحلة «ما بعد أبولو» التي ازدهرت في الخمسينيات والستينيات وحتى السبعينيات ، ولذلك حرصت مكتبة الأسرة على إدراج قصائد من دواوينها (هاشقة الليل) و (قراءة الموجة) و (شظايا ورماد) ، وهي مرتبة هنا وفقاً لتاريخ تأليفها ، وتمتد من عام ١٩٤٤ إلى عام ١٩٥٢ ، أى إن هذه القصائد تمثل تيار التجديد الرئيسى ، ويتضح فيه التجديد فى الشكل وفى الموضوعات ، بصورة تؤكد أنها كانت واعية تماماً لما تفعل على مر تلك السنوات التسع ، وإن كانت قد أفصحت عن ذلك الوعى والقصد فى بعض مقدماتها وفى كتاباتها النقدية فيما بعد .

ولقد درج جيلنا على اعتبار هذا التيار «طبيعياً» دون أن يقدر مدى التجديد الذى استحدثه أولئك الرواد منذ أن ترجم على أحمد باكثير مسرحية روميو وجولييت لشيكسبير فى منتصف الثلاثينيات بالشعر المرسل ، ولكن الواقع هو أن رواد «الشعر الجديد» قاموا بثورة فنية شملت معظم معالم الشعر العربى المعاصر ، ونذكر كيف هزتنا قصيدة القطار لنارك الملائكة حين قرأناها فى كتب النصوص الأدبية فى صبياننا ، والآن تجتمع معها قصائد أخرى تختلف فى كل شىء تقريباً عن إبداعات شعراء البعث أو الإحياء (البارودى وشوقى وحافظ ومطران)، وقد سبق لمكتبة الأسرة تقديم الشعراء الثلاثة الأوائل فى الأعوام السابقة ، وهى تقدم هذا العام شعر مطران أيضاً .

نرجو أن يستمتع القراء فى كل مكان بهذا الإبداع الأصيل ،

والله من وراء القصد

مكتبة الأسرة

١- شجرة الذكرى

مررتُ بها في المساءِ الدَّجِيّ
فألقيتُ رَحْليَ في ظلِّها
وحَدَّقْتُ في خُضْرِ أوراقِها ،
وروحِي الكَثِيبَةُ في ليلِها
فهاجَتْ لقلبي دُجَيّ الذِّكرياتِ
وأترعتُ لحنِي من ويلِها
وصيرتُ مُتَّكأِي ساقَها
وطافتُ شَجَونِي من حولِها

تذكرتُ ، والقلبُ في حُزْنِه
وقوفي ، في ظلِّها السَّاحِرِ
كأنَّ لم تمرَّ الليالي الطِّوالُ
على أمسي المُبْعَدِ الدَّابِرِ

وقفتُ أكفكفُ دمعِي السخينَ
وأصرخُ من ألمي الأسرِ
أقصُّ على ظلتِّها قصتي
وقصةَ شاعري الغادرِ

قصصتُ عليها الحديثَ الكئيبَ
وفى يدي الشوكةُ القاطعه
أمرُّ بها ، والأسى غالي
على ساقها ، البرّةُ الوادعة
فيا ليدي جرحتُ ساقها
وجذتُ أراهايرها اللامعه
كأنني بذاك جرحتُ الحياةَ
وعاقبتُ أقدارها الخادعه

ومررتُ عليَّ السنينُ الطوالَ

وطالَ عنيَ يومنيَ الخـالـدُ
فأبصرتُ فيه أسايَ البعيد
يُحسُّ به قلبيَ الواجـدُ
فقلتُ لقلبيَ : هيا نُطفِ
بها ، وليُشِرْ حزنُكَ الهامدُ
سنسألُها اليومَ عن جُرحِها
ألم يَشـبـه الزمَنُ الأبدُ

وعُدتُ إليها ، كأنْ لم تمرَّ
على السنينُ وأقـدارُها
فسؤاديَ ما زال مستأسراً
وروحِي ما أطفئت نارُها
يُقيئُني ظلُّها من جديد
وتحنو على القلبِ أزهارُها

فـيـا نُـبـلَها ، صَفَحَتْ عـن يـدي
 وـمـا زـال عـنـد يـدي ثـارُها
 ودرتُ أسـائـلُ عـن جـرحـها
 أـمـا دـمـلـتـه أكـفُ القـدَرُ ؟
 فـلـم أـرَ إلّا اخـضـرّارَ الحـيـاةِ
 فـلـيـس عـلـيـهـا جـرحٌ أثـرُ
 وـأـمـا جـراحُ فـؤـادـي الحـزـينِ
 فـمـا زلنَ يـشـكـونَ طـولَ الصـدَرِ
 فـيـا عـجـباً للزـمـانِ المـسيءِ
 مـتـى عـنِ إـسـنـاءـتـه يـعـتـذـرُ ؟

١٤ - ٦ - ١٩٤٤

٢- السَّفَر

أنا وحدي فوق صَدْرَ البحرِ يا زورقُ فارجعْ
عَبثاً أُنْتَظِرُ الآنَ فنجمي ليس يطلعْ
هَبَّتِ الرِّيحُ عَلَى الْبَحْرِ الْجُنُونِيَّ الْمُرَوَّعْ
فَلْتَعُدْ لِلشَّاطِئِ السَّاجِي بِقَلْبِي الْمُتَضَرِّعْ

عُدْ إِلَى الشَّاطِئِ ، عُدْ ، ما عاد يحلو لى البقاءُ
ذهبَ البحرُ بأصحابي إلى حيثُ الضياءُ
أنا وحدي ، أيها الملاحُ ، حُزنٌ وبُكاءُ
يَرْجِعُ الزورقُ بي وحدي إذا جاءَ المساءُ

ذهبوا للشَّاطِئِ الْمَسْحُورِ إذْ عُدْتُ لَوْحَدِي
ذهبوا إلا أنا ، عُدْتُ بأحزاني وسُهْدِي

لم أَصِبْ فِي رِحْلَتِي إِلَّا صَبَابَاتِي وَجْهِي هَدِي
فليكن ، يا بحرُ ، هذا ، بالئني ، آخرَ عهدي

كيف يا بحرُ توارى الركعبُ خلفَ الجزُرِ ؟
كيف يَدْوِي فِي فؤادي الصَّبُّ حُلْمُ السَّفَرِ ؟
عزَّ يا بحرُ على مـَوْجِكَ بُرءَ الصَّدْرِ
فلأعدُّ ، لا رحمةَ الآنَ بقلبِ القَدَرِ

فلأعدُّ للساحلِ المظلمِ قلباً مُسْتَطَراً
أدْفِنُ الحُلْمَ وأحيى زهرةَ وَسْطِ الصَّحَارَى
أبدأ أروي أناشيدي بأحزانِ الحَيَارَى
أبدأ أحلُمُ بالفَجْرِ فلا ألقى النَهَارَا

أيُّهَا الزَّوْرَقُ عَذِبي ، لم يَعُدْ ثَمَّةَ حُلْمٍ
قد مَضَى الرِّكْبُ وَلَنْ يُشْرَقَ فِي أَفْقِي نَجْمُ
ما الذي أرجو ومن حولي المساءُ المُدْلَهُمُ

والأعاصيرُ ، وأشباحُ الدياجي ، والخضَمُ ؟
أيُّها الشاطيءُ ، يا منبَعَ أحلامي ، ودَّاعا
سئمَ المجدافُ في كَفِّي دَفْعاً وصِراعاً
كيف ألقاكَ وقد مَزَقَتِ الريحُ الشُّراعاً
ورجائي فيكَ بَيْنَ المَوْجِ يا شاطيءُ ضاعاً

فلأعُدْ ، لا سَفَرَ اليَوْمَ إلى الأفقِ الجميلِ
لن أرى الشاطيءَ ، لن أحلُمَ في ظلِّ السخيلِ
وغداً رحلتيَ الكبرى إلى وادي الأفولِ
آه فلأرحلْ إليه ، فلقد حانَ رحيلي

فودَّاعاً أيُّها الركبُ ودَّاعاً يا حياة
آنَ أنْ يُطفئَ أفراحي وأحزاني الممات
آنَ أنْ تهجرَ قيثاري وعودي النغماتُ
فسلامٌ أيُّها الموتُ ، سلامٌ يا رُفَاتُ

٣- مرثية غريق

أيها النهرُ لقد جاء المساءُ
ومَشَى الصَّمُّ على الموجِ الوديعِ
وخبأ في الأفقِ الحالي الضياءُ
وتلاشَى وقعُ أقدامِ القطيعِ

سكن الكونُ سوى الموجِ المدَّوي
بأساطيرِ العُصورِ الخالياتِ
لم يَزَكْ يشكو المقاديرَ ويروي
أبدأ للكونِ أسرارَ الحياةِ

إيه يا ضِفَّةُ ما ذاكَ الخيالُ ؟
فوق صدرِ الموجِ ، تحت الظلماتِ

إِلَهٌ قَدْ تَصَبَّأَهُ الْجَمَالُ ؟
أَمْ غَرِيقٌ عَزَهُ حَبْلُ النِّجَاةِ ؟

حَدِّثْنِي ، مَا أَرَى خَلْفَ السَّيَاحِ ؟
فَهُوَ يَا ضِيقُ فِي اللَّيْلِ مُرِيبُ
مَا الَّذِي أُلْحُ فِي هَذَا الدِّيَاجِي ؟
مَا تَرَاهُ ذَلِكَ الشَّيْءُ الْغَرِيبُ ؟

هَيْكَلٌ يَفْطُسُ حِينًا ثُمَّ يَطْفُو
تَائِهًا تَحْتَ دَجَى اللَّيْلِ الْحَزِينِ
بَشَرٌ هَذَا تَرَى ؟ أَمْ هُوَ طَيْفُ ؟
لَيْتَ شَعْرِي ، يَادِيَاجِي ، مَا يَكُونُ ؟

أَهْ يَا شَاعِرْتِي ، هَذَا غَرِيقُ
فَاحْزَنِي لِلْجَسَدِ الْبَالِي الْمُمَزَّقِ

راقداً ، تحتَ الدياجي ، لا يُفِيقُ
والسَّنا من حَوْلِهِ جَفَنُ مـوَرَقْ

يا لَيْتَ لِمَ يودَعُهُ قـسـرِيبُ
فهو في النَهرِ وحيدٌ متعبٌ
ما بَكَى مَصْرَعَهُ إِلَّا غـرِيبُ
هو قلبي ، ذلكَ المَكْتَنِبُ

يا رِياحَ الليلِ رَفَقَا بالرفاتِ
واهْدأي ، لا تُثْقِلِي جِسْمَ الغريقِ
حسبُهُ ما مَزَقَتْ أَيْدِي الحِياةِ
فليَكُنْ مِنْكَ لَه قَلْبُ صَدِيقِ

ولتَكُنْ ، يا نَهرُ ، أَمواجُكَ حَضُنَا
يَتَلَقَّاهُ وَقَلْبُنا مُشْفِقَا

ولتكن ، يا نجم ، أضواءك عينا
تسكبُ الدمعَ على من غرقا

آه يا قيثارتي ، أيُّ المآسي !
قد كرهتُ الليلَ أضواءً وظلاً
أيُّها الصيَّادُ ، قف ! ألقِ المراسي
إنَّ تحتَ الليلِ جسماً مضجلاً

هوذا ، يا أيُّها الصيَّادُ ، جسماً
خامداً الأنفاسِ في حُضْنِ المياهِ
وعُيوناً ملئتِ رُعباً وهماً
لم يَزَكْ يملأها حبُّ الحياهِ
أيُّها الصيَّادُ ، قف بالزورقِ ،
وانتشلْ هذا الغريقَ البائساً

خُذْهُ لِلشَّاطِئِءِ وَادْفِنْ مَا بَقِيَ
مِنْهُ فِي الْقَرْيَةِ وَارْجِعْ يائِسًا

مَا الَّذِي تَصْطَادُ فِي بَحْرِ الزَّمَنِ
وَعَدًا يَصْطَادُكَ الدَّهْرُ الْعَتِي
نَحْنُ يَا صَيَّادُ أَبْنَاءُ الشَّجَنِ
حَفًّا مَحْيَانًا الشَّقَاءُ الْأَبْدِي

كُلَّ يَوْمٍ بَيْنَ أَيْدِينَا غُرَيْقُ
وَعَدًا نَحْنُ جَمِيعًا مُفْرَقُونَ
عَالَمٌ حَفًّا بِهِ الْمَوْتُ الْمُحَقِّقُ
وَتَبَاكِي فِي حِمَاهُ الْبَائِسُونَ
ضَاقَ يَا صَيَّادُ فِي عَيْنِي الْوَجُودُ
يَا لَكُونِ سِرُّهُ لَا يَنْجِلِي

كلُّ ما فيه إلى القبر يقودُ
ما الذي يَبْقَى لنا من أملٍ ؟

١٩٤٥ - ٧ - ١٠

٤- عاشقة الليل

يا ظلامَ الليلِ يا طاويَ أحزانِ القلوبِ
أنظرِ الآنَ فهذا شبحُ بادي الشُّحوبِ
جاءَ يسعَى ، تحتَ أستاركَ ، كالطيفِ الغريبِ
حاملاً في كفه العودَ يُغني للغيوبِ
ليس يعنيه سُكونُ الليلِ في الوادي الكئيبِ

هو ، يا ليلُ ، فتاةَ شهَدِ الوادي سُرَّاهِ
أقبلَ الليلُ عليها فأفاقتْ مقتلَها
ومضتْ تستقبلُ الواديَ بألحانِ أساها
ليتَ آفاقكَ تدري ما تُغني شَفَتَها
آه يا ليلُ ويا ليستكَ تدري ما مُناها

جنَّها الليلُ فأغرتهَا الدياجي ، والسكونُ
وتصبَّأها جمالُ الصمْتِ ، والصمْتُ فنونُ

فَنَضَّتْ بَرْدَ نَهَارٍ لَفَّ مَسْرَاهُ الْحَيْنُ
وَسَرَتْ طَيْفًا حَزِينًا فَإِذَا الْكَوْنُ حَزِينُ
فَمَنْ الْعُودِ نَشِيْجٌ وَمَنْ اللَّيْلِ أُنَيْنُ

إِيَّاهِ يَا عَاشِقَةَ اللَّيْلِ وَوَادِيهِ الْأَغْنِ
هُوَذَا اللَّيْلُ صَدَى وَحْيٍ وَرُؤْيَا مُتَمْنِي
تَضْحَكُ الدُّنْيَا وَمَا أَنْتِ سِوَى آهٍ حُزْنٍ
فَخُذِي الْعُودَ عَنِ الْعُشْبِ وَضَمِيهِ وَغْنِي
وَصِفِي مَا فِي الْمَسَاءِ الْخُلُوِّ مِنْ سِحْرِ وَفْنٍ

ما الذي ، شاعرة الحيرة ، يُغري بالسما ؟
أهي أحلام الصبايا أم خيال الشعراء ؟
أم هو الإغرام بالمجهول أم ليل الشقاء ؟
أم ترى الآفاق تستهويك أم سحر الضياء ؟
عجبا شاعرة الصمت وقيثار المساء

طيفُكَ الساري شحوبٌ وجلالٌ وغموضٌ
لم يَزَكِ يَسْري خيالاً لَفَّه الليلُ العريضُ
فهو يا عاشقةَ الظُّلْمَةِ أسرارٌ تفيضُ
آه يا شاعرتي لن يُرَحِّمَ القلبُ المَهِيضُ
فارجعي لا تسألي البرقَ فما يدري الوميضُ

عَجَباً ، شاعرةَ الحيرةِ ، ما سرُّ الذُّهُولِ ؟
ما الذي ساقك طيفاً حالمًا تحت النخيلِ ؟
مُسْنَدَ الرأسِ إلى الكَفَيْنِ في الظلِّ الظليلِ
مُفْرَقاً في الفكرِ والأحزانِ والصمتِ الطويلِ
ذاهلاً عن فتنةِ الظُّلْمَةِ في الحقلِ الجميلِ

أَنْصَتِي هذا صُراخُ الرعدِ ، هذي العاصفاتُ
فارجعي لن تُدرِكي سرّاً طوته الكائناتُ
قد جَهِلْنَاهُ وَضَنْتُ بِخَفَايَاهُ الحَيَاةُ

ليس يَدْرِي العاصفُ المجنونُ شيئاً يا فتاهُ
فارحمي قلبك ، لن تَنطِقُ هذي الظُّلُماتُ

١٩٤٥ - ٤ - ٤

٥ - حَوَاطِرُ مَسَائِلَةٍ

إِذَا رَحَفَ اللَّيْلُ فَوْقَ السُّهُوبِ
وَمَرَّتْ عَلَى الْأَفْقِ كَفُّ الْغَيْومِ
وَلَمْ يَبْقَ غَيْرُ السَّكُونِ الرَّهيبِ
وَنَامَ الْبَدَجِيُّ تَحْتَ جُنْحِ الْوَجُومِ

وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا نُوَّاحُ الْيَمَامِ
وَهَمْسُ السُّوَاكِي وَأَنَاتُهَا
وَوَقْعُ خَطَايَا عَابِرِ فِي الظَّلَامِ
تَمَرُّ وَتَخَفْتُ أَصْوَاتُهَا

جَلَسْتُ أَنَا جِي سَكُونِ الْمَسَاءِ
وَأَرْمَقُ لَوْنَ الظَّلَامِ الْحَزِينِ

وأرسلُ أغنيتي في الفضاءِ
وأبكي على كلِّ قلبٍ غيبينِ

أصيحُ إلى همساتِ اليمامِ
وأسمعُ في الليلِ وقعَ المطرِ
وأناثِ قُمريّةٍ في الظلامِ
تُغتي على البُعدِ بين الشجرِ

وأهاتِ طاحونةٍ ، من بعيدُ
تنوحُ المساءَ وتشكو الكلالِ
تمرُّ على مسمعى بالنشيدِ
وتفتأ تصدحُ خلفَ التلالِ

أصيحُ ولا صوتَ غيرِ الأئينِ
وأرنو ولا لونَ غيرِ الدُجى

غَيُومٌ وَصُمْتُ وَلِيلٌ حَزِينٌ
فَفَلَا عَجَبٌ أَنْ أَحْسَّ الشَّجَا

رَأَيْتُ الْحَيَاةَ كَهَذَا الْمَسَاءِ
ظِلَامٌ وَوَحْشَةٌ جَوْ كُئِيبٌ
وَيَحْلُمُ أَبْنَاؤُهَا بِالضُّيَاءِ
وَهُمْ تَحْتَ لَيْلٍ عَمِيقٍ رَهِيبٍ

طَبِيعَتُهَا أَبَدًا بَاكِيَةٌ
فَصُمْتُ الدُّجَى وَأَنْيُنُ الرِّيحِ
وَتَنْهِيْدَةُ النَّسَمِ السَّارِيَةِ
وَدَمْعُ النَّدَى فِي عُيُونِ الصَّبَاحِ

وَأَبْصَرْتُ عِنْدَ ضُفَافِ الشَّقَاءِ
جَمُوعَ الْحَزَانَى وَرُكْبَ الْجِياعِ

تُشَرِّدُهُمْ صَرَخَاتُ الْقَضَاءِ
وَمَا أَرْسَلُوا هَمَّاتِ الْوَدَاعِ

وَأَصِغْتُ لَكِنْ سَمِعْتُ النَشِيجَ
يُدْوِي صَدَاهُ عَلَى مَسْمَعِي
وَرَاءَ الْقَصَصُورِ وَفَوْقَ الْمَرْجِ
فَمَنْ يَا تَرَى يَتَغَنَّى مَعِي ؟

سَاحِلُ قَيْثَارَتِي فِي غَدِ
وَأَبْكِي عَلَى شَجَنِ الْعَالَمِ
وَأُرْثِي لَطَالِعِهِ الْأَنْكَسِدِ
عَلَى مَسْمَعِ الزَّمَنِ الظَّالِمِ

٢٤ - ١١ - ١٩٤٥

٦ - في وادي العبيد

ضاع عُمري في دياجيرِ الحياةِ
وخبَّتْ أحلامُ قلبي المغرَقِ
ها أنا وحدي على شطِّ المماتِ
والأعاصيرُ تُنادي زورقي
ليس في عينيَّ غيرُ العبراتِ
والظلالُ السودُ تحمي مفرقي
ليس في سمعيَّ غيرُ الصرَّخاتِ
أسفاً للعُمُرِ ، ماذا قد بقي ؟

سَنَوَاتُ العُمُرِ مَرَّتْ بي سِرَاعاً
وتوارتْ في دُجَى الماضي البعيدِ
وتبَقَّيتُ على البحرِ سِرَاعاً

مُغْرَقاً فِي الدَّمْعِ وَالْحَزَنِ الْمُبِيدِ
وَحَدَّتِي تَقْسَلُنِي وَالْعُمْرُ ضَاعَا
وَالْأَسَى لَمْ يُبْقِ لِي حُلْماً جَدِيدَ
وِظْلَامُ الْعَيْشِ لَمْ يُبْقِ شُعَاعَا
وَالشَّبَابُ الْغَضُّ يَذْوِي وَيَبِيدُ

أَيُّ مَبَاسِفِ حَيَاتِي • صَبِينَا
أَيُّ نَارٍ خَلَفَ صَمْتِي وَشَكَاتِي
كَتَمْتُ رُوحِي وَبَاحْتُ مُقْلَتَايَا
لَيْتَهَا ضَمَّتْ بِأَسْرَارِ حَيَاتِي
وَلِمَنْ أَشْكُو عَذَابِي وَأَسَايَا ؟
وَلِمَنْ أُرْسِلُ هَذِي الْأَغْنِيَا ؟
وَحَوَالِيَّ عَبِيدٌ وَضَحَايَا
وَوَجُودٌ مُغْرَقٌ فِي الظُّلُمَاتِ

أَيُّ مَعْنَى لَطْمُوحِي وَرَجَائِي
شَهِدَ الْمَوْتَ بَضْعَافِي الْبَشِيرِي
لَيْسَ فِي الْأَرْضِ لُحْزَنِي مِنْ عِزَاءِ
فَبَاحْتِدَامِ الشَّرِّ طَبَعُ الْآدَمِي
مُثْلِي الْعُلْيَا وَحُلْمِي وَسَمَائِي
كُلُّهَا أَوْهَامُ قَلْبٍ شَاعِرِي
هَكَذَا قَالُوا ... فَمَا مَعْنَى بَقَائِي ؟
رَحْمَةً الْأَقْدَارِ بِالْقَلْبِ الشَّقِي

لَا أُرِيدُ الْعَيْشَ فِي وَادِي الْعَبِيدِ
بَيْنَ أَمْوَاتٍ ... وَإِنْ لَمْ يَدْفَنُوا ...
جُثَّتْ تَرَسَفًا فِي أَسْرِ الْقِيُودِ
وَتَمَائِيلُ اجْتَوَتْهَا الْأَعْيُنُ
أَدْمَسِيُونَ وَلَكِنْ كَالْقُرُودِ

وَضِياعُ شَرَسَةٍ لَا تُؤْمَنُ
أَبْدًا أَسْمَعُهُمْ عَذْبَ نَشِيدِي
وَهُمْ نَوْمٌ عَمِيقٌ مُحْزَنٌ

فَلَبِيَّ الْحُرِّ الَّذِي لَمْ يَفْهَمْ
سَوْفَ يَلْقَى فِي أَغَانِيهِ الْعَزَاءَ
لَا يَظُنُّوْا أَنَّهُمْ قَدْ سَحَقُوهُ
فَهُوَ مَا رَالَ جَمَالًا وَتَقَاءَ
سَوْفَ تَمُضِي فِي التَّسَابِيحِ سَنُوهُ
وَهُمْ فِي الشَّرِّ فَجْرًا وَمَسَاءَ
فِي حَضْفِيفٍ مِنْ أَذَاهُمْ الْفَوْهُ
مُظْلَمٌ لَا حُسْنَ فِيهِ ، لَا ضِيَاءَ

إِنْ أَكُنْ عَاشِقَةً اللَّيْلِ فَكَأْسِي
مُشْرِقٌ بِالنُّضُوءِ وَالْحُبِّ الْوَرِيْقِ

وَجَمَالَ اللَّيْلِ قَدْ طَهَّرَ نَفْسِي
بِالدُّجَى وَالْهَمْسِ وَالصَّمْتِ الْعَمِيقِ
أَبْدَأُ يَمْلَأُ أَوْهَامِي وَحُـسْبِي
بِمَعَانِي الرُّوحِ وَالشَّعْرِ الرَّقِيقِ
فَدْعُوا لِي لَيْلَ أَحْلَامِي وَيَاسِي
وَلَكُمْ أَنْتُمْ تَبَاشِيرُ الشُّرُوقِ

١٩٤٦ - ٨ - ٨

٧ - ذكريات محوّة

وجهك أخفاهُ ضبابُ السنين
وضمّه الماضي إلى صدره
ألقي عليه من شبابي الحزين
أحزان قلب تاه في دُعره

وصوتك الخافى خبا لحنه
وأوحشت سَمْعِي أصداؤه
فلست أدري الآن ما لونه ،
ما رجعه الصافي ، وإحائه

ولون عينيكَ ، وأسرارها ،
وشعرك الداجي ، وأمواجهُ
غابت جميعاً ، أين تذكّارها
في ليلٍ قلب طال إدلاجهُ ؟

كم ، في سكونِ الليلِ ، تحتَ الظلامِ
رَجَعْتُ لِلْمَاضِي وَأَيَّامِهِ
أَبْحَثُ عَنْ حَيِّي بَيْنَ الرُّكَّامِ
فَلَمْ تَصِدْنِي غَيْرُ أَلَامِهِ

لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ غَيْرُ حُزْنِي الْمَرِيرِ
بَقِيَّةٌ مِنْ حَيِّي الذَّاهِبِ
وَذَكَرِيَّاتٍ مِنْ صِبَايَ الْغَرِيرِ
سَاخِرَةٌ مِنْ وَجْهِ الشَّاحِبِ

وَأَصْبَحْتُ ذَكَرَاكَ وَهَمًّا يُلُوحِ
يَشْتَاقُهُ قَلْبِي الْكَثِيبُ الْغَرِيرِ
يَا جَسَدًا ، كَالْقَبْرِ ، مَا فِيهِ رُوحٌ
سَمِيَتْهُ قَلْبًا ، فَيَا لِلْغُرُورِ !

وَأَيُّ قَلْبٍ جَامِدٌ بَارِدٌ
أَيُّ حَيَاةٍ تَحْتَ ظِلِّ الْخُمُودِ

لولا صرَاخُ الزَّمنِ الحِسا قَدِ
لَضِيقَتْ بِالْعِيشِ وَعِفَتْ الْوَجُودُ

لَمْ يَعْذِ الْحُبُّ أَسَىً مُحْرِقًا
يُشْعِلُ أَيَّامِي بِأَحْسَنِ زَانِهِ
وَلَمْ يَعْذِ جَفَنِي مُغْرَقًا
يُحْرِقُهُ الدَّمْعُ بِنَيْلِ رَانِهِ

لَمْ يَبْقَ إِلَّا ثُورَةٌ وَاحْتِقَارُ
مَلءَ حَيَاتِي الْمُرَّةَ الْحَالِمِ
النَّارُ ذَابَتْ وَتَبَقَّى الشَّرَارُ
تَشْرِبُهُ أَحْلَامِي الْوَاهِمِ

وَطَيْفُكَ الْخَطَابِي هَوَى نَجْمُهُ
وَعَابَ فِي الْمَاضِي الرَّهِيْبِ الْأَيْدِ

ووجهك القاسي ذوي رسمه
في مقلتي فهو خيالٌ بعيدٌ

مضى زمانٌ كنتُ فيه التي
تفتنُها أنعامك الصافية
وروحُ أشعرارك في وحدتي
وحيي الإلهيُّ وأشعراريه

مضي وأبقى لي فـؤاداً يرى
فيك جماداً من ترابٍ وطينٍ
أسكتته يوماً أعالي الذرى
وأرجعته للحضيضِ السنينِ

لم يبقَ منك الآنَ شيءٌ جميلٌ
غير اسمِكَ العذبِ وأصدائه

ذَكَرْتُ لِقَلْبٍ كَانَ يَوْمًا نَبِيلُ
فَسَبَّاتٌ فِي حَمَاةِ أَهْوَائِهِ

مَلَامَحُ الْهَيْكَلِ عِنْدِي امْتَحَنُ
الْوَجْهُ ، وَالْبَسْمَةُ ، وَالْمُقْلَتَانِ
لَمْ يَبْقَ إِلَّا اسْمٌ ، وَرُوحٌ خَوَتْ
وَذَكَرِيَّاتٌ قَدْ مَحَاها الزَّمَانُ

مَدَدْتُ كَفِّي إِلَى جَوْرِهَا
بِاحْشَاءٍ عَنْ سِخْرِهَا السَّابِقِ
فَلَمْ أَجِدْ ثُمَّ سَوَى شِلْوِهَا
يَسْخَرُ مِنْ مَدْمَعِي الدَّافِقِ

وَعَادَ قَلْبِي لِلْأَسَى وَالْعَذَابِ
مُسْتَوْحِشًا حَتَّى مِنَ الذِّكْرِيَّاتِ
مَنْ يُرْجِعُ الْمَاضِيَ إِذَا مَا الضَّبَابُ

ألقى دُجَاهُ فوقَ ليلِ الحَيَاةِ ؟
وما مَحَاهُ الزَّمَنُ القَادِرُ
أيُّ يدٍ تَكْتُبُهُ من جَدِيدٍ ؟
فيمَ إذنَ يَلْتَفِتُ الشَّاعِرُ
إلى دُجَى المَاضِي الرهيبِ الأَبِيدِ ؟

١٩٤٦ - ٨ - ٢٠

٨- إلى الشاعر كيتس

الإشارات إلى قصيدته :

“Ode to a Nightingale”

حياتي وآلامُ رُوحِي الحزينِ
وأحلامِي المرّةِ الداويةِ
وموكبُ أيامِي الذاهباتِ
وأطيافُ أيامِي الآتيةِ
تَجَمَّعْنَ في باقِيةٍ من عبيرِ
ثَوْتٍ خلفها رُوحِي الفانيهِ
وأهديتُها نَغْمًا حالمًا
إلى رُوحِكَ الحرّةِ الباقيةِ

حياتي ، يا شاعري ، كلّها
حياةٌ فتاةٍ من الحالمينِ

إِلَهِيَّةُ الرُّوحِ لَكِنَّهَا
عَلَى الْأَرْضِ حَفْنَةُ مَاءٍ وَطِينُ
تُعَذِّبُهَا صَرَخَاتُ الْأَسَى
وَتُرْعِشُهَا صَدَمَاتُ السَّنِينِ
وَلَوْلَاكَ مَا وَجَدْتُ فِي الثَّرَى
عِزَاءً ، وَلَمْ يَجْتَذِبْهَا الْحَنِينُ

أَنَا شَيْدُكَ الْخَالِدَاتُ الْعَذَابُ
نَشِيدِي وَأَغْنِيَّتِي الْهَاتِفُ
فَكَمْ لَيْلَةٍ مِنْ لِيَالِي الشِّتَاءِ
دَفَعْتُ بِهَا ضَجَّةَ الْعَاصِفِ
وَأَسْمَعْتُهَا النَّارَ فِي مَوْقِدِي
وَوَغْنِيَّتُهَا الظِّلَّةَ الْوَارِفِ
وَأَيَقَظْتُ فِي ظِلِّهَا فِتْنَتِي

ونارَ عواطفِي الجارِفَه
وكم في ليالي الخريفِ الكئيبِ
وقفتُ أحْدَقُ عندَ النَّهَرِ
أصيحُ إلى صوتِ قُمْرِيَّةِ
سَجَتْ فوقَ بعضِ غُصُونِ الشَّجَرِ
أفتشُ في صَوْنِهَا عن شَجَاكَ
وشكواكَ بينِ الأَسَى والفِكْرِ
وأسألُهَا عن شَبَابِ ذَوِي
وظلِّ صَبَاً راقِداً في الحُفْرِ

أقولُ لها : صَوِّري من جديدِ
ظلامَ المساءِ الكئيبِ البعيدِ
وما كانَ من شاعري في دُجَاهِ
وأهاتِهِ وأسْنَاهُ المُبَيِّدِ
صِفِي حُزْنَهُ عندَ رأسِ المريضِ

ووحشته والرجاء البديء
صفي ذلك الجسد الآدمي
وما قال عند وداع الوجود

صفي شاعري كيف أمضى المساء
على قدمي ذلك الميت
يصيخ إلى النغمات الحنون
ويطرق إطراقاً المنصت
صفيه ، كما أرعشته الحياة
أسى ، تحت سيف الردى المصلت
على كفه رأسه الشاعري
وحيداً ، إلى جانب الجثة

وكيف تولي المساء الحزين
على شعلة الشمعة الشاحبه ؟

وهل صرَّختَ في النِظْلَامِ الرِّيحَ
 كما صرَّختَ نَفْسُهُ الصَّاحِبِ ؟
 « هنالكَ حيثُ يموتُ الشَّبَابُ
 وتذوي أشعته الغارِبِ »
 هنالكَ حيثُ الذَّهولُ الغريبُ
 يودُّعُ رُوحَ المُنَى الذَّاهِبِ

وتَمْضي اللَّيَالِي إلى قَبْرِهَا
 وتَمْشي الحَيَاةُ مع الموكِبِ
 أسيرُ أنا في شِعَابِ الوجودِ
 أَفــــتَشُّ عن حُلْمِي المتعبِ
 نَحَادِعُنِي كُلُّ قـــــــمَرِيَّةٍ
 وتعبَتْ كُلُّ الأَغَارِيدِ بِي
 وما زالَ طَيْفُكَ طِيَّ الحَفَاءِ
 تُحَجِّبُهُ ظُلْمَةُ المَغْرِبِ

٩ - جُود

في سُكُونِ المسَاءِ في ظلامِ الوجُودِ
حينَ نَامَ الضياءُ واعتُراني جُودُ

خَلْتُ نَفْسِي أسِيرَ في مكانٍ بعيدِ
فوقَ قلبي أثِيرَ تحتَ رجلي قُيُودُ

في كَيْفَانِي فُتُورَ في دمي نَوءُ
لَقَبَّوهُ الشَّعُورَ وهو لا شيءُ

في إسمِ الأَلَمِ روحي المَبْهِمِ
يا مَعَانِي العَدَمِ أهْ لو أَفْهِمِ

في ضَبَابِ الوجُودِ أنا كَالسَّرِ
وغداً سَأَعُودُ دونَ أنْ أدري

جَسَدِي فِي الْأَلَمِ خَاطِرِي فِي الْقَيُودِ
بَيْنَ هَمَسِ الْعَدَمِ وَصُرَاخِ الْوَجُودِ

وَسَكُونِي حَيَاةَ وَظِلَامِي بِرَيْقِ
الْنَجَاةِ النِّجَاةِ مِنْ شَعُورِي الْعَمِيقِ

أَنَا حُلْمٌ وَشَعُورٌ طَهْرٌ
أَمْ أَنَا جَسْمٌ مُغْرَقٌ فِي الشَّرَرِ

بَلْ أَنَا آفَاقٌ مِنْ شَعُورٍ عَنِيفِ
وَأَنَا أَعْمَاقٌ مِنْ خِصَمِّ مَخِيفِ

الْمَقْـايِسُ لَيْسَ تَعْنِينِي
الْأَحْـسَاسُ هِيَ قَانُونِي

أَنَا لَا أَهْوَى مَا يُحِبُّ النَّاسُ
فَإِذَا دَوَّى فِي دَمِي إِحْسَاسُ

١٠ - جامعة الظلال

أخيراً لمستُ الحياه
وأدركتُ ما هي أيُّ فَرَاغٍ ثَقِيلُ
أخيراً تبيّنتُ سرَّ الفقايعِ واختبائه
وأدركتُ أنني أضعتُ زماناً طويلاً
ألمُ الظلالَ وأخبطُ في عُتْمَةِ المستحيلِ
ألمُ الظلالَ ولا شيءَ غيرِ الظلالِ
ومرّتْ عليّ الليالِ
وها أنا أدركُ أنني لمستُ الحياه
وإن كنتُ أصرُخُ واختبئه .



ومرَّ عليّ زمانٌ بطيءُ العبورِ
دقائقُهُ تتمطّى مكلاً كانَ العُصورُ
هنالكَ تغفو وتنسى مواكبها أن تدورَ
زمانٌ شديدُ السَّوَادِ ، ولونُ النجومِ

يذكرُنِي بعيونِ الذئابِ
وضوءٌ صغيرٌ يلوحُ وراءَ الغيومِ
عرفتُ به في النهايةِ لونَ السرابِ
ووهمَ الحياةِ
فواحييتاهُ



أهلاً إذن هو ما لقبوه الحياة ؟
خُطوطٌ نَظَلُّ نَخْطُطُهَا فوقَ وجهِ المياه ؟
وأصداءُ أغنيةٍ فُظَّة لا تَمَسُّ الشِّفاه ؟
وهللاً إذن هو سرُّ الوجود ؟
ليالٍ ممزقةٌ لا تعود ؟
وآثارُ أقدامنا في طريقِ الزمانِ الأصمِّ



تمرُّ عليها يدُ العاصفه
فتمسحُها دوماً عاطفه
وتسلمُها للعدَمِ
ونحنُ ضحايا هنا

تَجُوعٌ وَتَعْطَشٌ أَرْوَاحُنَا الْخَائِرَ

وَنَحْسَبُ أَنَّ الْمَنَى

سَتَمَلَأُ يَوْمًا مَشَاعِرَنَا الْعَاصِرَ

وَنَجْهَلُ أَنَّا نَدُورُ

مَعَ الْوَهْمِ فِي حَلَقَاتٍ

نَجْزِيهِ أَيَّامَنَا الْأَقْلَاتِ

إِلَى ذَكْرِيَّاتٍ

وَنَنْتَظِرُ الْغَدَ خَلْفَ الْعُصُورِ

وَنَجْهَلُ أَنَّ الْقُبُورَ

تَمُدُّ إِلَيْنَا بِأَذْرِعِهَا الْبَارِدِ

وَنَجْهَلُ أَنَّ السَّائِرَ تُخْفِي يَدًا مَارِدَ



عَرَفْتُ الْحَيَاةَ ، وَضِيقَتْ بِجَمْعِ الظَّلَالِ

وَأَضْجَرَنِي أَنَّ نَجُوبَ التَّلَالِ

نَحْدَقُ فِي حَسْرَةٍ خَلْفَ رُكْبِ اللَّيَالِ

تَسِيرُ بِنَا الْقَافِلَ

نَجُوسُ الشَّوَارِعِ فِي وَحْدَةٍ قَاتِلَ

إِلَامٌ يُخَادَعُنَا الْمُبْهَمُ ؟
وَكَيْفَ النِّهَايَةُ ؟ لَا أَحَدٌ يَعْلَمُ



سَنَبَقَى نَسِيرٌ
وَأَبْقَى أَنَا فِي دُحُولِي الْغَرِيرِ
أَلَمْ الظَّلَالِ كَمَا كُنْتُ دُونَ اهْتِمَامِ
عَيُونٍ وَلَا لَوْنٍ ، لَا شَيْءَ إِلَّا الظَّلَامُ
شِفَاهُ تُرِيدُ وَلَا شَيْءَ يَقْرَبُ مِمَّا تُرِيدُ
وَأَيْدٍ تُرِيدُ احْتِضَانِ الْفَضَاءِ الْمَدِيدِ
وَقَلْبٍ يُرِيدُ النُّجُومِ
فِيصْفَعُهُ فِي الدِّيَاغِيرِ صَوْتُ الْقَدُومِ
يُهَيِّلُ التَّرَابَ عَلَى آخِرِ الْمَيِّتِينَ
وَأَقْصَوْصَةً مِنْ يَرَاعِ السَّنِينَ
تَضَجُّ بِسْمَعِي فَأَصْرَحُ : آه !
أَخِيرًا عَرَفْتُ الْحَيَاةَ
فَوَاحِشِيئَتَاهُ

١١- خرافات

« هدية إلى صديقني د. أ. نحية
لذكرى مساء فلسفنا فيه كل شيء
حتى الكراسي والمناضد والسناثر »

قالوا الحياة

هي لونٌ عينيّ مَيّتٍ
هي وقعُ خطو القاتلِ المتلفّتِ
أيامُها المتجعداتُ
كالمعطفِ المسمومِ ينضحُ بالمحاتِ
أحلامُها بَسَمَاتُ سَعَلَةٍ مخدّرةِ العيونِ
ووراءَ بسمتها المُنُونُ

قالوا الامل

هو حَسْرَةُ الظمآنِ حينَ يرى الكؤوسُ
في صورةٍ فوق الجدارِ
هو ذلك اللونُ العبّوسُ

في وجه عصفورٍ تحطّم عُنْهُ فبكى وطارُ
وأقام يتظرُ الصباحَ لعلَّ معجزةً تُعيدُ
أنقاصَ مأواه المخربِ من جديدُ

قالوا النعيم

ويحشّتُ عنه في العيونِ الفائراتُ
في قصّةِ البؤسِ التي كُتِبَتْ على بعضِ الوجوهِ
في الدهرِ تاكلُهُ سنوه
في الزهرِ يرصدُ عطرهُ شبحُ الذبولِ
في نجمةٍ حسناءٍ يرصدُها الأفولُ
قالوا النعيمُ ولم أجدهُ فهل طوى غدهُ وماتُ ؟

قالوا السكون

أسطورةٌ حمقاءُ جاء بها جمادُ
يُصْنَعِي بِأَذْنِيهِ وَيَتْرَكُ رَوْحَهُ تَحْتَ الرَّمَادِ
لم يسمعِ الصَرَخَاتِ يُرْسِلُهَا السِّيَاحُ ،
وقصائصُ الورقِ الممزقِ في الخرائبِ ، والغبارِ ،

ومقاعدُ الغُرفِ القديمة ، والزُجاجُ ،
غطاهُ نَسْجُ العنكبوت ، ومعطفٌ فوق الجدار .

قالوا الشبابُ

وسألتُ عنه فحدثوني عن سنينُ
تأتي فينقشُ الضبابُ
وتحدثوا عن جنةٍ خلف السرابِ
وتحدثوا عن واحةٍ للمتعبينُ
وبلغتها فوجدتُ أحلامَ الغدِ
مصلوبةً عند الرِثَاجِ الموصدِ

قالوا الخلود

ووجدتهُ ظلاً تغطَّى في بُرودِ
فوق المدافنِ حيثُ تنكشُ الحياهُ
ووجدتهُ لفظاً على بعض الشفاءِ
غنتهُ وهي تنوحُ ماضيها وتُنزلهُ اللحدُ

غَتَتْهُ وَهِيَ تَمُوتُ . . . يَا لِلْإِرْدَاءِ !

قَالُوا الْخُلُودُ ، وَلَمْ أَجِدْ إِلَّا الْفَنَاءَ .

قَالُوا الْقُلُوبُ

وَوَجَدْتُ أَبْوَاباً تَوَدِّي فِي اخْتِنَاقٍ

لِمَقَابِرِ دُفِنَ الشُّعُورُ بِهَا وَمَاتَ غَدُ الْخَيَالِ

جُدْرَانُهَا اللَّزْجَاتُ تَبْتَلَعُ الْجَمَالَ

وَتَمُجُّ قُبْحاً لَا يُطَاقُ

وَهَرَبْتُ شَاحِبَةً أَتْلُكَ إِذْ بَنَى قُلُوبٌ ؟

يَا خَبِيَّةَ الْأَحْلَامِ . إِنِّي لَنْ أَوْفَى

قَالُوا الْعَيُونُ

وَوَجَدْتُ أَجْفَاناً وَلَيْسَ لَهَا بَصَرٌ

وَعَرَفْتُ أَهْدَاباً شُدِّدْنَ إِلَى حَجَرٍ

وَخَبِرْتُ أَقْبَاءَ مَلْفَعَةٍ بِأَسْتَارِ الظُّنُونِ

عَمِيَاءَ مَنْ غَيْرِ الشُّرُورِ وَإِنْ تَكُنْ تُدْعَى عَيُونُ

وَعَرَفْتُ أَلْفَاً وَأَعْيُنُهُمْ صَفَائِحُ مَنْ رَجَا

زُرْقَاءُ فِي لَوْنِ السَّمَاءِ ، وَخَلْفَ زُرْقَتِهَا دِيَاجُ

قالوا وقالوا

ألفاظُهم لاكت تَرَدُّدِها الرِّياحُ
فى عالمِ أصواته الجوفاءُ يرُصدُها الفناءُ
المتبعونَ بلا ارتياحٍ
الضائعونَ بلا انتهاءٍ
قالوا وقلتُ وليس يبقِ ما يُقالُ
يا للخرافةِ ! يا لسُخريةِ الخيالِ !

١٩٤٨

١٢ - مرثية يوم تافه

لاحتِ الظلمةُ في الأفقِ السحيقِ
وانتهى اليومُ الغريبُ
ومضتِ أصداءُه نحو كهوفِ الذكرياتِ
وغداً تمضي كما كانت حياتي
شفةً ظمأى وكوبُ
عكست أعماقُه لونَ الرحيقِ
وإذا ما لمستهُ شفتايا
لم تجدُ من لذةِ الذكرى بقايا
لم تجدُ حتى بقايا

إنتهى اليومُ الغريبُ
إنتهى وأنتجبتُ حتى الذنوبُ
ويكتُ حتى حماقاتي التي سميتها

ذكرياتي

إنتهى لم يبقَ في كَفِّي منه

غيرُ ذكرى نَغَمٍ يصرُخُ في أعماق ذاتي

رائياً كَفِّي التي أفرغْتُها

من حياتي ، وأدْكَاراتي ، ويومٍ من شبَّابي

ضاعَ في وادي السرابِ

في الضبابِ .

كان يوماً من حياتي

ضائعاً أَلْفَيْتُهُ دون اضطرابِ

فوق أشلاء شبَّابي

عند تلُّ الذكرياتِ

فوق آلافٍ من الساعاتِ تاهت في الضبابِ

في متاهاتِ الليالي الغابراتِ

كان يوماً تافهاً . كان غريباً
أن تَدُقَّ الساعةُ الكَسْلَى وتُحْصِي لَحْظَاتِي
أنه لم يكُ يوماً من حياتي
أنه قد كان تحقيقاً رهيباً
ليقايَا لَغْنَةَ الذِّكْرِى التى مزقَتْهَا
هى والكأسُ التى حطمتْهَا
عند قَبْرِ الأملِ المَيِّتِ ، خلفَ السَّنَوَاتِ ،
خلف ذاتى

كان يوماً تافهاً . . . حتى المساءِ
مرت الساعاتُ فى شِبْهِ بَكاٍ
كلُّهَا حتى المساءِ
عندمَا أَيْقَظَ سَمْعِي صَوْتَهُ
صَوْتَهُ الحُلُوِّ الذى ضَيَّعْتُهُ
عندمَا أَحْدَقْتُ الظِّلْمَةُ بِالْأَفْقِ الرَّهِيْبِ .

وَأَمَحْتُ حَتَّى بَقَايَا الْمَيِّ ، حَتَّى ذُنُوبِي

وَأَمَحَى صَوْتُ حَبِيبِي

حَمَلْتُ أَصْدَاءَهُ كَفُّ الْغُرُوبِ

لَمَّا كَانَ غَابَ عَنْ أَعْيُنِ قَلْبِي

غَابَ لَمْ تَبْقَ سِوَى الذِّكْرِ وَحْيِي

وَصَدَى يَوْمٍ غَرِيبِ

كَشْحَوِي

عَبَثًا أَضْرَعُ أَنْ يُرْجِعَ لِي صَوْتَ حَبِيبِي .

١٩٤٨

١٣ - غرباء

أطفئ الشمعة واتركنا غريبين هنا
نحن جزءان من الليل فما معنى السنا ؟
يسقط الضوء على وهمين في جفن المساء
يسقط الضوء على بعض شظايا من رجاء
سميت نحن وأدعوها أنا :
مللاً . نحن هنا مثل الضياء

غُرباء

اللقاء الباهت البارد كالיום المطير
كان قتلاً لاناشيدي وقبراً لشعوري
دقت الساعة في الظلمة تسعاً ثم عشراً
وأنا من ألمي أصغي وأحصى . كنت حيزي
أسأل الساعة ما جدوى جهوري
إن نكن نقضى الاماسي ، أنت أدرى ،

غُرباء

مرّت الساعاتُ كالماضي يُغشيها النُّبُولُ
كالغدِ المجهولِ لا أدرى أفجرُّ أم أصيلُ
مرّت الساعاتُ والصمتُ كأجواءِ الشتاءِ
خلتُهُ يخنقُ أنفاسي وَيَطْفِئُ في دمايِ
خلتُهُ يَنبِسُ في نفسي يقولُ
أنتما تحت أحاصيرِ المساءِ

غُرْبَاءُ

أطفئ الشمعةَ فالروحانِ في ليلٍ كثيفِ
يسقطُ النورُ على وجهينِ في لونِ الحريفِ
أولا تبصرُ ؟ عينانا ذبولٌ وبرودُ
أولا تسمعُ ؟ قلبانا انطفاءٌ وخمودُ
صمتنا أصداءُ إنذارٍ مخيفِ
ساخرٌ من أننا سوفَ نعودُ

غُرْبَاءُ

نحن من جاء بنا اليوم ؟ ومن أين بدأنا ؟
لم يكن يَعْرِفُنَا الأَمْسُ رَفِيقِينَ . . . فدَعَانَا
نَطْفُئُ الذِّكْرَى كَأَن لَّمْ تَكُ يَوْمًا مِنْ صِبَانَا
بَعْضُ حَبِّ نَزَقِ طَافَ بِنَا ثُمَّ سَلَانَا
أَهْ لَوْ نَحْنُ رَجَعْنَا حَيْثُ كُنَّا
قَبْلَ أَنْ نَفْنَى وَمَا رَلْنَا كَلَانَا

غُرَبَاءُ

١٩٤٨

١٤ - الانعوان

أَيْنَ آمَشِي ؟ مَلِكْتُ الدُّرُوبُ
بِالْمَرْجِ
وَالْعَارُ أَخْفِي اللَّجُوجُ
لَمْ يَزَلْ يَقْتَضِي خُطُواتِي ، فَأَيْنَ الْهُرُوبُ ؟
الْمَعْرَاتُ وَالطَّرِيقُ الذَّاهِبَاتُ
بِالْأَغَانِي إِلَى كُلِّ أَفْقٍ غَرِيبُ
وَدُرُوبُ الْحَيَاةِ
وَالدَّهَالِيزُ فِي ظُلُمَاتِ الدُّجَى الْخَالِكَاتُ
وَرَوَايا النَّهَارِ الْجَدِيدُ
جَبَّتْهَا كُلُّهَا ، وَعَدَوِيَّ الْخَفِيِّ الْعَنِيدُ
صَامِدٌ كَجِبَالِ الْجَلِيدِ
فِي الشِّمَالِ الْبَعِيدِ

صامدٌ كصمودِ النجومِ
في عيونِ جفاها الرقادِ
ورمتها أكفُّ الهمومِ
بجراحِ السهادِ
صامدٌ كصمودِ الزمنِ
ساعةَ الانتظارِ
كلماً أمعنتُ في القرارِ
خطواتي تخطي القننِ
وأنا في بما حطمتُهُ جهودُ النهارِ
من قيودِ التذكرِ . . . لن أنشدَ الإنفلاتِ
من قيودي ، وأيُّ انفلاتِ
وعدوي المخيفِ
مقلتهُ تمجُّ الحريفِ
فوقَ روحِ تُريدُ الربيعِ
لاكفُّ الضياعِ «
أسمعُ الصوتَ ملءَ البقاعِ

فأسيرُ لعلِّي أفيقُ
من دياجير كابوسيَ الأبدِيِّ الصفيقُ
ربما سيفضلُ عدويَّ الطريقُ
ما أحبُّ المسيرَ وليس ورائي خطيَّ مائته
تتمطى بأصدائها الباهته
في محاني طريقي الطويلُ
إنه لن يجيءُ
لن يجيءَ وإن عَبرَ المستحيلُ
أبدأُ لن يجيءُ
لن يراهُ فؤادي البريُّ
من جديدٍ يثيرُ الرياحُ
لتسُدَّ عليَّ السيلُ
في هدوءِ الصباحِ
أبدأُ لن يجيءُ
لن يجيءَ !
وأسمعُ قهقهةَ حاقله

إنه جاء . يا لضياح رجائي الكبيرُ
في دُجَى اللَّابَرْنَتِ الضَّرِيرِ
وأحسُّ اليَدَ المارده
تَضَعُطُ البَرْدَ والرُّعْبَ فوق هدوئي الغريرِ
بأصابعها الجامده

إنه جاء . . فيمَ المسيرُ ؟
سأودعُ حُلُمِي القصيرِ
وأعودُ بِجُثَّةِ الباردة .
وتمرُّ تمرُّ الحياة
وعدوِّي الخفيُّ العنيدُ

خلفَ كلَّ طريقٍ جديدٍ
في ليالي الأسيِّ الحالكاتِ
خلفَ كلَّ سحرٍ
وأراهُ يُطلُّ عليَّ مع المنتظرِ
مع أمسيِّ البعيدِ
مع ضوءِ القمرِ

في الفضاء المديد
بين أين المفر
من عدوي العنيد
وهو مثل القنر
سرمدى ، خفي ، أيد
سرمدى ، أيد

١٩٤٨

١٥ - الباحثة عن الغد

«غداً نلتقي» نبأ في الزمان رَوَّتهُ الجِيَاءُ
تلاشَى ولم تروه شَفَتَانِ تلاشَى وتاه

وجاء غداً ثم ولى ومات وعادَ ضباباً
فأينَ «غداً نلتقي» يا حياة أعادتُ تراباً ؟

«غداً نلتقي» ثم ماتَ الزمانَ وضاعَ المكانَ
وهل يلتقي أبداً عاشقانَ على لا كيانَ ؟

وكان لنا موعدٌ فانطوى صدهُ وماتَ
وكم كوكبٍ في الدياجي هوى وعادَ رُفَاتُ

وكانت لنا قصةٌ كالْبَشَرِ نسيجُ السنينَ
فأسفرَ آخرُها عن قَدَرِ وذابَ الرنسينَ

وكنّا نمرُّ فترنو الحياةَ وتومي إلينا
وها نحنُ تختصم الذكرياتُ علي شفتينا

ويطرُدنا الأمسُّ من كلّ ما ملكناه يوماً
سوى حاضِرٍ مُغرِقٍ في الدما ويقطُرُ سماً

ونسَمَعُ بعضاً وراءَ المساءِ من المشرقِ
صدى لفظتينِ يجوسُ الفضاءُ «غداً نلتقي»

ويأتي غداً في أسيّ وشروءٍ بصمتٍ طويلٍ
بألفِ صدىٍ ساخرٍ في برودٍ وراء النخيلِ

«غداً نلتقي» ويسودُ السكونُ سكونُ الخريفِ
وأسمعُ تحتَ المساءِ الحنونِ صراخاً عنيفاً

وقهقهة ، فظلة ، بارده كجور القبور
ترددها شفة حاقده وراء العصور

« غداً نلتقي » وتمط النغم وتسخر مني
ويبقى غدي تائهاً في الظلم يفتش عني

١٩٤٨

١٦- الجرح الغاضِبُ .

أَغْضَبُ أَغْضَبُ لَنْ أَحْتَمَلَ الْجُرْحَ السَّاحِرَ
جَرَحُ قَدْ مَرَّ مَسَاءَ الْأَمْسِ عَلَى قَلْبِي
جُرْحُ يَجْثُمُ كَاللَّيْلِ الْمُعْتَمِ فِي قَلْبِي
يَجْثُمُ أَسْوَدَ كَالنِّقْمَةِ فِي فِكْرِ نَائِرِ
جُرْحُ لَمْ يَعْرِفْ إِنْسَانٌ قَبْلِي مِثْلَهُ
لَنْ يَشْكُوَ قَلْبٌ بَشَرِيٌّ بَعْدِي مِثْلَهُ
الظُّلْمَةُ فِي أَمْسِي الْمَطْوِيِّ أَحْسَنُهُ
وَمَضَتْ تَهْمَسُ فِي صَمْتِ اللَّيْلِ : مَنْ الْجَانِي ؟
حَتَّى الْأَبَدِيَّةِ وَالْأَفَاقُ أَحْسَنُهُ
وَتَنَاسَى ، لَمْ يَعْبا ، لَمْ يَنْتَبِهْ الْجَانِي .
أَغْضَبُ ، تَنْغَضِبُ لِي هَمَسَاتُ اللَّيْلِ الصَّامِتِ
وَتُحِيلُ الْجَوَّ الْوَاجِمَ صَرْخَةً جَبَّارَ
وَتَقُولُ الْأَنْجُمُ : هَذَا نَقْمَةُ جَبَّارٍ

ويثورُ بقلبِ الأبديةِ جرحٌ ساكتٌ
أغضبُ يرتعشُ الموجُ معي تحتَ القمرِ
ويضجُ وتبلغُ ثورتهُ سمعَ القمرِ
ويجنُّ الغيمُ الأسودُ في عرضِ الأفقِ
ويلفُ الشاطئَ ثوبُ حِدادٍ كجنازه
يتحولُ صمتي ناراَ تصرخُ في الأفقِ
وأغني رقةَ إحساسي لحنَ جنازه



أمسي ، في أمسي قد دُفنتُ أشلاءَ غدي
كانتُ ، لم يدْرِ بها أحدٌ ، شبهُ جريمه
الجُرحُ النديانُ سيشهد ، أيُّ جريمه
كيفَ على الأرضِ تساقطَ حلمي بين يدي
كيفَ المقدورُ مضى نَزفاً يقتلُ قلبا ؟
وتبقتُ بضعةَ أشلاءِ كانتُ قلبا

وَتَبَقَّتْ ذَكَرِيَّ مُطْفَأَةٌ كَانَتْ أَمْسَا
 وَتَبَقَّتْ أَنَاثٌ حَيْرَى كَانَتْ لَحْنَا
 جُدْرَانٌ عَارِيَةٌ كَانَتْ يَوْمًا أَمْسَا
 أَصْدَاءٌ فِي غَارٍ خَاوٍ كَانَتْ لَحْنَا
 وَمِنَ الْأَعْمَاقِ تَصَاعَدَ صَوْتُ مَخْنُوقٌ
 يَهْتَفُ فِي حُزْنٍ ، فِي جَزَعٍ : كَيْفَ أَبُوحُ ؟
 لَيْتَ الْجُرْحَ الْمَظْلُومَ إِلَى اللَّيْلِ يَبُوحُ
 قَدْ يَثَارُ لِي مَطَرٌ وَرَعُودٌ وَبُرُوقٌ
 وَرَأَيْتُ عَلَى الْأَفْقِ الْمَخْضُوبِ بَفِيضٍ دَمِي
 شَبَحًا تَفْتَرُّ عَلَى فَمِهِ قَطَرَاتُ دَمِي
 عَيْنَاهُ الزَّرْقَاوَانِ مَسَاءَ أَهْوَالِ
 وَيَدَاهُ السُّودَاوَانِ ذِرَاعَا عَفْرِيتِ
 شَبَحَ مَجْنُونٌ أَيْقَظَ عَاصِفَ أَهْوَالِ
 وَأَحَالَ دِيَا جِيرِي أَحْجِيَّةَ عَفْرِيتِ

أغضبُ للجرحِ المختلجِ الشاكي أغضبُ
سَيُجَنُّ معي الصبرُ المذبوحُ المرتعشُ
سَتُجَنُّ معي اللعنةُ والحقدُ المرتعشُ
ستثورُ معي الذكرى ستثورُ ولا مهربُ
لا مهربَ من جرحٍ قد مرَّ على قلبي
جرحٌ يصرخُ كالجوعِ البائسِ في قلبي
الظلمةُ في صمّتِ الآفاقِ أحسّتهُ
ومضتُ تسألُ في قلبِ الليلِ: من الجاني؟
حتى القُمريّةُ والأشجارُ أحسّتهُ
وتضاحكُ ، لم يشعرُ ، لم يتبهِ الجاني

١٧ - مرّ القطار

أليس نمت - اسنحون - إلى المدى
لا شيء يقطعه سوى صوتٍ بليد
لحمامةٍ حيرى وكلبٍ ينبجُ النجمَ البعيدَ ،
والساعةُ البلهاءُ تلتهمُ الغدا
وهناك في بعضِ الجهاتِ
مرّ القطارُ
عجلأتهُ غزلتُ رجاءَ بَتٍ أنتظرُ النهارَ
من أجلِهِ . . . مرّ القطارُ
وخبا بعيداً في السكونِ
خلفَ التلالِ النائياتِ
لم يبقَ في نفسي سوى رجيعٍ وهُونِ
وأنا احدثُ في النجومِ الحلماتِ
أتخيلُ العرباتِ والصفَّ الطويلَ
من ساهرينَ ومتعيينَ

أتخيرُ لليلَ الثقيلُ
 في أعينِ سُمْتُ وجوهَ الراكبينُ
 في ضوءِ مصباحِ القطارِ الباهتِ
 سَمْتُ مراقبةَ الظلامِ الصامتِ
 أنصوّرُ الضجرَ المريرُ
 في أنفُسِ ملّت رأتعها الصغيرُ
 هي والحقائبُ في انتظارُ
 هي والحقائبُ تحت أكداسِ الغبارُ
 تغفو دقائقُ ثم يوقظها القطارُ
 ويصلُ بعضُ الراكبينُ
 مثائباً ، نعاناً ، في كسلٍ يحدقُ في القفارُ
 ويعودُ ينظرُ في وجوهِ الآخرينُ
 في أوجهِ الغُرباءِ يجمعهمُ قطارُ
 ويكادُ يغفو ثم يسمعُ في شرودُ
 صوتاً يغمغمُ في هُروُدُ
 «هذي العقاربُ لا تسيرُ !

كم مرَّ من هذا المساء ؟ متى الوصول ؟ «
 وتَدُقُّ سَاعَتُهُ ثَلَاثًا فِي ذَهُولِ
 وَهْنٍ يَقَاطِعُهُ الصَّغِيرُ
 وَيَلُوحُ مُصْبِحُ الْخَفِيرِ
 وَيَلُوحُ ضَوْءُ مُحَطَّةِ عِبَرِ الْمَسَاءِ
 إِذْ ذَاكَ يَتَنَدُّ الْقَطَارُ الْمُجْهَدُ
 . . . وَفَتَى هُنَاكَ فِي انْطَوَاءِ
 يَأْبَى الرِّقَادَ وَلَمْ يَزَلْ يَتَنَهَّدُ
 سَهْرَانٍ يَرْتَقِبُ النُّجُومَ
 فِي مَقْلَتِهِ بِرُودَةٍ خَطَّ الْوُجُومَ
 أَطْرَافَهَا . . فِي وَجْهِهِ لَوْنٌ غَرِيبٌ
 أَلْقَتْ عَلَيْهِ حَرَارَةُ الْأَحْلَامِ آثَارَ احْمِرَارِ
 شَفَقَتَاهُ فِي شِبْهِ افْتِرَارِ
 عَنْ شِبْهِ حُلُمٍ يَفْرُشُ اللَّيْلَ الْجَدِيبَ
 بِحَفِيفِ أَجْنَحَةٍ خَفِيَّاتِ اللَّحُونِ
 عَيْنَاهُ فِي شِبْهِ انْطِبَاقِ

وكأنها تخشى فرار أشعة خلف الجفون
أو أن ترى شيئاً مقيتاً لا يُطَاقُ
هذا الفتى الضَّعِيفُ الحزينُ
عبثاً يحاول أن يرى في الآخرين
شيئاً سوى اللغز القديم
والقصّة الكبرى التي ستم الوجودُ
أبطالها وفصولها ومضى يراقبُ في برود
تكرارها البالي السقيم
هذا الفتى
وتمرُّ أقدامُ الخفيرِ
ويُطلُّ وجهٌ عابسٌ خلفَ الزُّجاجِ ،
وجهُ الخفيرِ !
ويهزُّ في يده السراجُ
فيرى الوجوه المتعبه
والنائمينَ وهمُ جلوسٌ في القطارِ
والأعينَ المترقبه

في كلِّ جَفْنٍ صرخةٌ باسمِ النهارِ ..
وتَضِيعُ أَقْدَامُ الخَفِيرِ السَّاهِدِ
خلفَ الظَّلامِ الرَّاكِدِ

مرَّ القطارُ وضاعَ في قلبِ القفارِ
وبقيتُ وحدي اسأَلُ الليلَ الشُّرُودَ
عن شاعري ومتى يعودُ ؟
ومتى يجيءُ به القطارُ ؟
أتراهُ مرَّ به الخَفِيرُ
ورأهُ لم يعبأ به .. كالآخرينَ
ومضى يسيرُ
هو والسراجُ وفحصانِ الراكبينَ
وأنا هنا ما زلتُ أَرْقُبُ في انتظارِ
وأودُّ لو جاءَ القطارُ ...

١٩٤٨

١٨ - في جبال الشمال

عُدُّ بنا يا قطارُ
فالظلامُ رهيبٌ هنا والسكونُ ثَقِيلُ
عُدُّ بنا فالمدَى شاسعٌ والطريقُ طَوِيلُ
واليالي قصارُ
عُدُّ بنا فالرياحُ تنوحُ وراءَ الظلالِ
وعُواءُ الذئابِ وراءَ الجبالِ
كصُراخِ الأسي في قلوبِ البشرِ
عُدُّ بنا فعلى المنحدرِ
شَبَّحٌ مكفهرٌ حزينُ
تركتُ قَدَماءُ على كلِّ فجْرِ أثرُ
كلُّ فجْرِ تقضى هنا بالآسى والحزنِ
شَبَّحُ الغربةِ القاتله
فى جبال الشمال الحزين
شبحُ الوحدةِ القاتلة

فِي الشِّعَالِ الْحَزِينِ
 عِدْ بِنَا قَدْ سَمْنَا الطَّوَافَ
 فِي سَفُوحِ الْجِبَالِ وَعُدْنَا نَخَافُ
 أَنْ تَطُولَ لَيَالِي الْغِيَابِ
 وَيَغْطِيَّ عَوَاءُ الذَّنَابِ
 صَوْتَنَا وَيَحْزُنَ عَلَيْنَا الْإِيَابُ
 عِدْ بِنَا لِلْجَنُوبِ
 فَهَنَّاكَ وَرَاءَ الْجِبَالِ قُلُوبُ
 عِدْ بِنَا لِلَّذِينَ تَرَكْنَاهُمْ فِي الضَّبَابِ
 كُلُّ كَفٍّ تَلَوَّحُ فِي لَهْفَةٍ وَكَتَابُ
 كُلُّ كَفٍّ فَوَادُ
 عِدْ بِنَا يَا قَطَارُ ، سَمْنَا الطَّوَافَ وَطَالَ الْبَعَادُ
 وَهَنَّاكَ هَمْسٌ عَمِيقُ
 لَاتُغْ خَلْفَ كُلِّ طَرِيقِ
 فِي شَعَابِ الْجِبَالِ الضِّخَامِ
 وَوَرَاءَ الْغَمَامِ

في ارتعاشِ الصُّنوبرِ ، في القريةِ الشاحبه ،
في عواءِ ابنِ آوى ، وفي الألْجَمِ الغاربه ،
في المراعي هنالك صوتٌ شَرُودٌ
هامسٌ أن نعودُ

فهناك بيوتٌ آخرُ

ومراعٍ آخرُ

وقلوبٌ آخرُ

وهناك عيونٌ أبَتْ أن تنامُ

وأَكْفُ تَضُمُّ الدُّجَى في اضطرامِ

وشفاهُ تردُّ أسماءنا في الظلامِ

وقلوبٌ تُصَيِّخُ لأقدامنا في وُجُومِ

وتنادي النجومُ

في أسيٍّ وسُكونٍ :

«ومتى يا نجومُ سيذكرُنَا الهاربونُ ؟»

«ومتى يَرْجِعُونَ ؟»

لحظةً ، سنعودُ

لن يرانا الدُّجَى هاهنا ، سنعودُ

سنعودُ ، سنطوي الجبالَ

ورُكَّامَ التلالِ

لن ترانا ليالي الشمالِ

ها هنا من جديدُ

لن يحسَّ الفضاءُ المديدُ

نارَ آهاتِنَا في المساءِ الرهيبِ

في سكونِ المساءِ الرهيبِ



عُدْ بنا يا قطارَ الشمالِ

فهناك وراءَ الجبالِ

الوجوهُ الرقاقُ التي حَجَبَتْهَا الليالِ

عُدْ بنا ، عُدْ إلى الأذرعِ الحانيه

في ظلالِ النخيلِ

حيثُ أيامُنَا الماضيه

في انتظارٍ طويلٍ
وقفتُ في انتظارٍ
تتحرى رجوعَ القطارِ
لتسيرٍ مع السائرين
حيثُ أيامنا تسألُ العابرين
واحدًا ، واحدًا ، في حنين
«ومتى عودةُ الهارين ؟ »



لنعدُ فهناك نشيدٌ قديمٌ
حولنا هامسٌ بالرجوعِ
ما أحبُّ الرجوعِ
بعد هذا الطَوَافِ الاليمِ
في جديبِ الشعابِ
حيثُ تعوي الذئابُ
لنعدُ ، فالدُجَى باردٌ كالجليدِ
وهناك خلفَ الفضاءِ البعيدِ

أذرعُ دافئته
لنعدُ بالجبالُ تكشُّرُ عن ليلها المظلم
وهناك خلف الدُّجى المبهم
صوتُ أحبابنا ، في الظلام السحيق
نابضاً بالحنين العميق
صوتُهُم مُثْقَلًا بالعتاب
صوتُهُم ردّدته الشّعاب
صوتُهُم في سكون المكان
دائر كالزمان
لنعدُ قبل أن يقضي الأفعوان
بفراقٍ طويلٍ ، طويل
عن ظلال النخيل
عن أعزّائنا خلف صمتِ القفار
عدّ بنا يا قطار
فالليالي قصار
وهناك أحبابنا في أسيّ وانتظار

١٩ - ذكريات

كَانَ لَيْلٌ ، كَانَتْ الْاَنْجُمُ لُغْزاً لَا يُحَلُّ
كَانَ فِي رُوحِي شَيْءٌ صَاغَهُ الصَّمْتُ الْمَمْلُ
كَانَ فِي حَسِّي تَخْدِيرٌ وَوَعْيٌ مَضْمَحَلُّ
كَانَ فِي اللَّيْلِ جُمُودٌ لَا يُطَاقُ
كَانَتْ الظُّلْمَةُ أَسْرَاراً تُرَاقُ
كَنتُ وَحْدِي لَمْ يَكُنْ يَتَّبِعُ خَطْوِي غَيْرُ ظَلِي
أَنَا وَحْدِي ، أَنَا وَاللَّيْلُ الشَّتَائِي . . . وَظَلِّي



لَمْ أَكُنْ أَحْلُمُ لَكِنْ كَانَ فِي عَيْنِي شَيْءٌ
لَمْ أَكُنْ أَبْسُمُ لَكِنْ فِي رُوحِي ضَمُوءٌ
لَمْ أَكُنْ أَبْكِي وَلَكِنْ كَانَ فِي نَفْسِي نَوءٌ
مَرَّ بِي تَذْكَارُ شَيْءٍ لَا يُحَدُّ
بَعْضُ شَيْءٍ مَا لَهُ قَبْلٌ وَبَعْدُ

ربّما كانَ خيالاً صاغهُ فِكْرِي وَليلي
وتلفتُ ولكنْ لم أقابلْ غيرَ ظلي



كان صمّتُ راكداً حولي كصمّتِ الأبدية
ماتت الأطيّارُ أو نامتُ بأعشاشٍ خفيّة
لم يكنْ ينطقُ حتّى الرّغباتُ الأدميّة
غيرَ صوّتِ رنٍّ في سَمْعِي وغابا
لحظةً لم أدرِ حتّى أينَ غابا

آه لو أدركتُ من الفأه في الصمّتِ المملّ
أتراني لم أكنْ أمشي أنا وحدي وظلي ؟
كانتِ الظّلْمَةُ تمتدُّ إلى الأفقِ الغريبِ
كلُّ شيءٍ مغرّقٌ فيها كقلبي ، كشُحُوبي
ظلمةٌ ممتدةٌ كالوهمِ ، كالوْتِ الرهيبِ
غيرَ ضوءٍ خاطفٍ مرٍّ بجفّني
لحظةً لم تدرِ ماذا كانَ ، عيني
كانَ ضوءٌ لوْنُهُ لونُ خيالٍ مضمحلّ

مَرَّبِي لَمَحاً وَأَبْقَانِي أَنَا وَحْدِي وَظَلِّي
 كَانَ فِي الْجَوِّ الشَّتَائِيَّ ارْتِعَاشٌ وَجُمُودٌ
 جَمَدَ الظِّلِّ مِنَ الْبَرْدِ وَغَشَاءُ الرُّكُودِ
 لَيْلَةٌ يَرْجَفُ فِي أَجْوَاهَا حَتَّى الْجَلِيدُ
 غَيْرَ دَفءٍ طَافَ فِي قَلْبِي الْوَجِيعُ
 فَزْتُ فِيهِ مِنْ شَتَائِي بِرَبِيعٍ
 وَإِذَا فِي عُمُقِ قَلْبِي فَرَحَةُ الْفَجْرِ الْمُطْلُ
 غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ فِي اللَّيْلِ أَنَا وَحْدِي وَظَلِّي
 كَانَ فِي رُوحِي قَرَأْتُ جَائِعٌ كَاللَّانْهَائِيهِ
 كَانَ ظَلِّي صَامِتاً لَا لَحْنَ لَا رَجْعَ حِكَايِهِ
 بَاهِتاً يَتَّبِعُ مَسْرَى خُطُواتِي دُونَ غَايِهِ
 غَيْرَ كَأْسٍ هَبَّتْ حِينَ صَرَخْتُ
 قَطْرَةً وَاحِدَةً ثُمَّ ارْتَوَيْتُ
 أَتْرَاهُ كَانَ أَكْذُوبَةً إِحْسَاسِي الْمُضِلُّ
 أَوْ مَا كُنْتُ أَنَا وَحْدِي مَعَ اللَّيْلِ وَظَلِّي ؟



كان قلبي مُتعباً يسكنه حُزنٌ فظيعُ
رقصت فيه وشدته إلى الجرح دُموعُ
صورٌ في قعره يصبغُ مرآها النجيع
كانَ ، لكنَّ يداً مرّت عليه
حملت بعضَ تحاياها إليه
باركتَ آلامه السوداءَ كانت يدُ طفلٍ
أى طفلٍ ؟ لم يكن في الليل غيري غير ظلي

١٩٤٨

٢٠ - دعوة إلى الأحلام

تعال لنحلّم ، إن المساء الجميل دنا
ولين الدجى وخذود النجوم تُنادي بنا
تعال نصيد الرّوى ، ونعدّ خيوط السّنا
ونشهد منحدّرات الرّمال على حبّنا



سنمشى معاً فوق صدر جزيرتنا الساهده
ونبقى على الرمل آثار أقدامنا الشارده
ويأتى الصباح فيُلقي بأندائه الباردة
ويثبت حيث حلّمنا ولو وردةً واحده



سنحلّم أنا صعدنا نرود جبال القمر
ونمرح فى عزلة اللانهاية واللابشر

بعيداً . بعيداً . إلى حيثُ لا تستطيعُ الذكرُ
إِلينا الوصولَ فنحن وراءَ امتدادِ الفكرِ



سنحلُمُ أنا استحلُّنا صبيَّينِ فوقَ التلالِ
بريَّينِ نركضُ فوقَ الصُّخُورِ ونرعى الجِمالِ
شريدَيْنِ ليس لنا منزلٌ غيرَ كوخِ الخيالِ
وحينَ ننامُ نمرِّغُ أجسامنا في الرَّمالِ



سنحلُمُ أنا نسيرُ إلى الأَمسِ لا للغدِ
وأنا وصلنا إلى بابلِ ذاتِ فجْرِ نَدِ
حبيَّينِ نحملُ عهدَ هوانا إلى المَعْبَدِ
يُمارِكُنَا كاهنُ بابلِ نقيُّ اليَدِ

١٩٤٨ - ٩ - ٢٨

٢١ - طريق العودة

نعودُ إذنُ في الطريقِ الطويلِ

تُواجهُنَا الأوجهُ الجامده

يواجهنا كل شيء رأينا منذ قليل

كما كان في ركلة بارده

نعودُ إذن ، لا ضياءٌ ينير

لأعيننا الخامدة

نسير ونسحب أشلاء حُلُمٍ صغير

دفناه بعد شبابٍ قصير



نعودُ وهذا طريق الإياب

يُمَدُّ مرارته ورتابة أسرارهِ

نسير ويبرِّدُ باب

هنا ، وجدارُ هناك يسدُّ الطريق

بأحجارهِ

وَلَمْ سِيَاجٌ عَتِيقٌ ،
 تَهْدَمُ عِنْدَ النَّهْرِ
 وَعَابِرَةٌ ، دُونَ مَعْنَى تُمُدِّ الْبَصَرِ
 إِلَى حَيْثُ لَا نَعْلَمُ ،
 تُمُرُّ بِنَا ، لَا تُفَكِّرُ فِينَا
 وَنَنْسَى وَنَجْهَلُ أَنَّا نَسِينَا
 وَلَا نَفْهَمُ



نَعُودُ إِذْنٌ فِي طَرِيقِ الْإِيَابِ الْمُرِيرِ
 وَكُنَّا قَطْعَنَاهُ مِنْذُ رَمَانٍ قَصِيرِ
 وَكُنَّا نَسْمِيهِ ، دُونَ ارْتِيَابٍ ، طَرِيقَ الرَّوَاخِ
 وَنَعْبُرُهُ فِي ارْتِيَاخٍ :
 يُمُدُّ لَنَا كُلَّ شَيْءٍ نَرَاهُ يَدَا
 يَكَادُ يُعَانِقُنَا وَيَصُبُّ عَلَيْنَا غَدَا
 دَفَائِقُهُ نَسَجَتِهَا الْمُنَى .
 وَكُنَّا نُسْمِيهِ . دُونَ ارْتِيَابٍ ، طَرِيقَ الْأَمَلِ

فما لشذاه أَقْلُ ؟

وفى لحظةٍ عاد يُدعى طريقَ المللِ ؟

وعُدنا نسير ويُسلمنا المنحنى

إلى آخرِ ضيقٍ

ويدفعنا كلُّ شئٍ نراه

إلى ياسنا المطبقِ

ونشعرُ أنا ضَجَرنا ضَجَرنا وعَفنا الحياه

وعُدنا نُمجّ الحياه .



لماذا نعودُ ؟

اليسَ هناكَ مكانٌ وراءَ الوجودِ

نظّلُ إليه نسيرُ

ولا نستطيعُ الوصولُ ؟

مكانٌ بعيدٌ يقودُ إليه طريقٌ طويلُ

يظّلُ يسيرُ يسيرُ

ولا ينتهى ، ليسَ منه قُقولُ

هناك لا يتكرر مشهدُ هذا الجدارِ
ولا شكلُ هذا الرواقِ
ولا يُرسِلُ النهرُ في مللٍ نعمةً لا تُطاقُ
نُصيخ لها في احتقارِ
لأنَّ الطريقَ طربُ الرجوعِ
لأنَّا بلغنا نهايةَ دربِ الرواحِ
وأصبح لأبدٍ من أن نذوقَ الجراحِ
ونحنُ نسيرُ ونقطعُ دربَ الرجوعِ
ونلذعه بالدموعِ



ألا بُدَّ من أن نشوبُ
وتدفعنا خلجاتِ المرارةِ دون حُلُمٍ ؟
ألم ينطفئ كلَّ حُلُمٍ كذوبُ
وها نحن نعلم أننا بلغنا القممَ ؟
وسرنا على أوجها مرةً ، ثم حان الإياب
وعُدنا نجرّ قيودَ الألمِ

وَنُذْرِكَ كَيْفَ تَغْيِّرَ حَتَّى التُّرَابُ
تَغْيِّرَ حَتَّى الطَّرِيقُ
وَأَصْبَحَ يَرْفُضُنَا فِي مَلَالٍ وَضِيقٍ
وَعَادَ يَصُبُّ عَلَيْنَا جُمُوداً عَمِيقَ .



وَعُدْنَا نَسِيرُ
نُجْرُ أَحَاسِيئِنَا الرَّاكِلَهُ ،
وَتَصْدِمُنَا الْأَوَجَهُ الْجَامِدَهُ .
نَسِيرُ ، نَسِيرُ ،
نَحْدَقُ فِي أَى شَيْءٍ نَرَاهُ ،
بِهَذَا السِّيَاحِ الْمَهْدَمِ أَوْ بَسْوَاهُ
نَحْدَقُ ، لَا رَغْبَةً فِي النَّظَرِ
وَلَكِنْ ... لِأَنَّ لَنَا أَحِينَا .
نَعْلَقُ ، لَا شَوْقَ يُغْرِى بِنَا
وَلَكِنْ لِأَنَّا سَمِعْنَا السَّكُونَ الْمَخِيفُ
وَوَقَعَ خَطَايَا الرِّتِيَّاتِ فَوْقَ الرِّصِيفِ

سئمتنا فأين المفر ؟
ولابدّ من أن نعود
فليس هناك مكان وراء الوجود
نظلّ إليه نسير
ولا نستطيع الوصول

١٥ - ٣ - ١٩٤٩

٢٢ - يحكى أن حفارين

الزمان يسيرُ

بدقائقه المبطّاتِ الثقالُ

ساحباً خلفه عَرَباتِ الليالِ

مُثْقَلاتٍ بأسرارها الدلائلُ

الزمانُ يسيرُ ، يجرُّ الحياهُ

وهناك ، فوقَ بساطِ الرمالِ

حيثُ خلّفتِ العَرَباتُ

أثراً من خُطى العجالاتِ

لم نَزَلْ نحنُ ، فى كلِّ قَدُومٍ ،

لم نَزَلْ نحفرُ الأرضَ فى وحشةٍ ووجومٍ

نحنُ نبكى هنا

والزمانُ يسيرُ

نَحْفِرُ الْأَرْضَ ، نَبْحَثُ هَمَّا أَضْعُنَا هُنَا
وَالزَّمَانَ يَسِيرُ



وَحَدَّنَا ، وَحَدَّنَا ، فِي سَكُوتٍ
صَامِتَيْنِ نُرَاقِبُ كَيْفَ تَمُوتُ
فِي يَدَيْنَا وَفِي مَقَلَّتَيْنَا الْعُرُوقُ
وَهُنَاكَ يَنْتَظِرُ الْحَيَّ خَلْفَ التُّرَابِ
فِي أَسَى وَعَذَابٍ
أَنْ يُطْلَ شُرُوقُ
أَنْ يَرَانَا أَخِيرًا بِأَعْيُنِنَا الْكَايِه
نَعْبُرُ الْهَآوِيَةَ
لِنُعِيدَ إِلَيْهِ الشَّبَابُ
ذَلِكَ الْحَيَّ فِي الظُّلُمَاتِ
آه لَوْ لَمْ تَمُتْ فِي يَدَيْنَا الْعُرُوقُ
لِنُعِيدَ إِلَيْهِ الْحَيَاةَ



« إحفر الآن وحدك .. ما عدت أقوى أنا
 « إحفر الأرض وحدك .. إنى أحسن الفناء
 « ملء كفى وملء ذراعى ، أحسن الرجاء
 « يتلاشئ بعيداً وراء مدى المنحنى
 « حيث مر الزمان بنا
 « منذ بضعة مئات السنين
 « وغداً سيمر بنا من جديد
 « فيراك لوحده تحفر فى حسرة وحنين
 « سيمر وتحفر أنت ركام الجليد
 « فى الثرى ، فى عُروقى أنا



ثم يأتى رمان
 وتذب الحرارة فى الجسد الجامد
 جسد الرجل الحى فى قبره البارد
 وهنالك تحت الدجى ميطان
 جامدان كلوح جليد ،

ويمرّ الزمان العنيدُ

بهما من جديدُ

فيرى فيهما صاحبيْنُ

طلما حَفَرَا في الترابُ

حَفَرَا في الضَّبَابُ

رَبِّمَا حَفَرَا في سُحُوبِ الخريفِ

أو عبُوسِ الشتاءِ المخيفِ

طلما شوهدا يحفرانُ

يحفرانِ ، يظَلَّانِ في لهفَةٍ يحفرانُ

وهما الآنَ ، فوقَ الثَّرَى ، مَيَّتانُ



والزمان يسيرُ

ويجرّ رفاتَهُما في الرمالُ

ويرى الرجل الميتَ الحىَّ يطوى الليالُ

شارداً مفرداً
لم يعدْ يحتويه مكانٌ
أو زمانٌ
إنَّه قد أضباع الغدا
وتبقىّ له الأمس والميتانُ
... واستمرَّ يسير الزمانُ ...

١٩٤٩/١/٢٤

٢٣ - صلاة الاشباح

تململت الساعة الباردة
على البرج ، فى الظلمة الحامده
ومدت يداً من نحاس
يداً كالأساطير بوذا يحركها فى احتراس
يد الرجل المنتصب
على ساعة البرج ، فى صمته السرمدي
يحدق فى وجمة المكتئب
وتقذف عيناه سبل الظلام الدجى
على القلعة الراقده
على الميتين الذين عيونهم لا تموت
تظل تحدق ، ينطق فيها السكوت
وقالت يد الرجل المنتصب :
« صلاة ، صلاة ! »



ودبّتُ حياه

هناك على البرُج ، فى الحرّس المتعين

فساروا يجرون فوق الثرى فى أناه

ظلالهم الحانيات التى عقفتها السنين

ظلالهم فى الظلام العميق الحزين

وعادت يد الرجل المنتصب

تُشير : «صلاة» ، صلاة ا

فيمتزج الصوت بالضجة الداوية ،

صدى موكب الحرّس المقترّب

يدقّ على كل باب ويصرخ بالنائمين

فيبرز من كل باب شبح

هزيل شحّب ،

يجرّ رماد السنين ،

يكاد الدجى يتحبّ

على وجهه الجمجمى الحزين



وسار هنالك موكبهم في سكون
يدبّون في الطرقات الغريبة ، لا يُدركون
لماذا يسرون ؟ ماذا عسى أن يكون ؟
تلوّت حواليتهم ظلّلمات الدروب
أفاعي راحفة وثيوب
وساروا يجرون أسرارهم في شُحوب
وتهمس أصواتهم بنشيد رهيب ،
نشيد لذاك الإله العجيب
وأغنية ليد الرّجل المتصب
على البرج كالعنكبوت
يد من نحاس
يحرّكها في احتراس
فترسل صيحتها في الدياجي

« صلاة ، صلاة »



وفى آخر المركب الشَّبَحَى المُخِيفُ

رأى حارسُ شُبَّاحِينَ

يسيرانِ لا دُرْكانَ متى كانَ ذاكَ وأين ؟

تَحَزَّ الرِّياحُ ذراعيهما فى الظلام الكثيفُ

وما زال فى الشَّبَّاحِينَ بقايا حياه

ولكنَّ عَينيهما فى انطفاءُ

ولفظُ « صلاةٌ ، صلاة »

يَضِجُ بِسَمْعَيْهِما فى ظلام المساءُ



« أَلَسْتَ تَرى »

« خُذْهُمَا ! »

ثم ساد السكون العميق

ولم يَبْقَ من شَبَّاحٍ فى الطريقُ



وفى المَعْبَدِ البرَهْمَى الكَبِيرُ

وحيثُ الغَمُوضُ المُثِيرُ

وحيثُ غرابَةٌ بوذا تُلَفّ المكانُ
 يُصَلِّي الذينَ عيونُهُم لا تموتُ
 ويرقُّبُهُم ذلكَ العنكبوتُ
 على البرجِ مستغرقاً في سكوتٍ ،
 يشيرُ بكفِّه ملءَ المكانِ
 فيرتفعُ الصوتُ ضخماً ، عميقَ الصدى ، كالزَّمانِ
 ويترجفُ الشَّبَّاحُ



« من القلعةِ الرطبةِ الباردة
 « ومن ظُلُماتِ البيوتِ
 « من الشُّرفِ الماردهِ
 « من البرجِ ، حيثُ يدُ العنكبوتِ
 « تشيرُ لنا في سكوتِ
 « من الطرقاتِ التي تَعْلِكُ الظُّلْمَةُ الصامتهِ
 « أتيناكِ نسحبُ أسرارنا الباهتهِ
 « أتيناكِ ، نحن عبيدَ الزَّمانِ

« وأسرّاه نحن الذين عيونهم لا تموت
 « أتينا نَجْرُ الهوان
 « ونسألك الصَفْحَ عن هذه الأعين المذنبه
 « ترسبَ في عُمُقِ أعماقها كلُّ حزنِ السنين
 « وصوتُ ضمائِرنا المتعبه
 « أجشُّ رهيبُ الرّئين
 « أتيناكَ يا من يلدُّ السُّهاد
 « على أعينِ المذنبين
 « على أعينِ الهاربين
 « إلى أمسِهِم ليلوذوا هناك بتلِّ رماد
 « من الغدِ ذى الأعينِ الخضرِ . يا من نراه
 « صباحَ مساءً يسوقُ الزمانُ
 « يحدِّقُ ، عيناه لا تغفوان
 « وكفّاه مطويتان
 « على ألفِ سرٍّ . أتينا نُمرِّغُ هذى الجباه
 « على أرضٍ معيدهٍ فى خُشوعٍ

« نُناديه ، دونَ دموعٍ ،
 « ونصرخ : آه !
 « تعبنا فدعنا ننامُ
 « فلا نسمع الصوتَ يَهْتَفُ فينا : « صلاه ! »
 « إذا دَقَّتِ اساعةُ الثانيه ،
 « ولا يطرق الحرس الكالحونُ
 « على كل بابٍ بأيديهم الباليه
 « وقد أَكَلَتْهَا القُرُونُ
 « ولم تُبقِ منها سوى كومةٍ من عظامٍ
 « تعبنا . . . فدعنا ننامُ . .
 « ننامُ ، وننسى يد الرجل العنكبوتُ
 « على ساعه البرج . تنشرُ فوق البيوتُ
 « تعاويذَ لعنتِها الحاقده
 « حنانك بوذا ، على الأعينِ الساهله
 « ودعها أخيراً تموتُ .



وفى المعبد البرهمى الكبيرُ

تحركَ بوذا المُشيرُ

ومدَّ ذراعِيهَ للشبحينُ

يُباركُ رأسُهُما المتعِينُ

ويصرخُ بالحرَّسِ الأشقياءُ

وبالرجُلِ المتصبِّ

على الهرج فى كبرياءُ :

« أعيدهما ! »

ثم لفَّ السكونُ المكانُ

ولم يبقَ إلا المساءُ ،

ويوذا ، ووجهه الزمانُ

١٩٤٩

٢٤ - الوصول

سأحبّ نفسي في ارتعاش ظلالها تحيى عصورُ

ملأى بالوانِ الخيالِ

وهناك في أحنائها ألقى الجمالُ

وعوالمُ نجميةَ الإشراقِ مُسكرةَ العطورِ

وهناك كم لونٍ ترسّب في كتوس الذكرياتِ

كم قصّةٍ نامتُ وغطّت سرّها خلفَ الشعورِ

كم خطفةٍ من طيفِ حُبٍ عاش حيناً ثم ماتِ

كم نغمةٍ في ذاتِ صيفٍ ، عندما كان المساءُ

مشتاقلاً نعياناً ، في بعض القرى

وأنا أغنيها وأرقّب في ارتخاءِ

ظلّ النخيل على الثرى .



سأحبّ نفسي ، في صفاء ظلالها أجدُ الصفاءِ

طال التغرّبُ والتلالُ تلوّنت بدم الغروبِ

حتى النهار أوى إلى سررِ المساء
لم يبقَ جوالٌ سوايَ أنا وقلبي في السهوبِ .
لم يبقَ إلانَا وآهاتُ المداخنِ من بعيدِ
وكأبهُ الليلُ الجديدُ



ولقد وصلنا . ها هنا يحيا الجمالُ ،
والدفءُ ، والشمسُ الأنيفةُ . والسكونُ ،
والإمتدادُ وعالمُ يسعُ القُرُونُ
بحرٌ من الألوانِ يخلقهُ الخيالُ
وتموجُ فوق مدهاءِ آلافِ الظلالِ



يا صمتَ نفسي عدتُ عدتُ إليك بعد سُرَى سنين
ضافت بتطوافي البحارُ
وشكا النهارُ
ما حملته رؤاى من عبءِ الحنينِ
لم ألقَ غيركَ لى نصيرا

فى ظلمة الليل المُضِلُّ
فافتح لى البابَ الأَخِيرَا
دعنى أَمُرُّ

... أنا وظلُّى ...

١٩٥١/٣/٦

الولايات المتحدة

٢٥ - الأرض المحجة

صَوَّرُوها جَنَّةً سَحَرِيَّةً
من رَحِيقٍ وورودٍ شَفَقِيَّةِ
وأراقوا في ربابها صُوراً
من حنانٍ ، وتساييحَ نَقِيَّةِ
ثم قالوا إن فيها بِلْسَمًا
هَيَّأَتْهُ لَجَراحِ البَشَرِيَّةِ
وأردناها فلم نَظْفَرْ بِهَـا
وَرَجَعْنَا لَأَمَانِنَا الشَّقِيَّةِ



المَلائِئِ نُعْيُونُ ظُمُوءَ
عِزٍّ أن تَمْلِكَ سُلُوءَ واحِدهِ
والمَلائِئِ شَفَفَاءُ عَطِشَتِ
ليس تُرَوِّيهَا الوَعُودُ البَارِدهِ

ذلك المشعلُ هاتوهُ فقد
أكلَ الليلُ العيونَ الساهده
وأمرّوه على أشباحنا
لترَوَا لونَ دمانا الجامده



عُمرنا كان طريقاً مُعتمداً
فأنيروهُ إلى القبرِ أخيراً
وصبنا كان جرحاً ساهداً
يشربُ الملحَ ويقنت السعيراً
وأغسانينا رصقناها أسى
وسقفناها غيوماً وهجيراً
وهوآنا والمنى بعناهم
واشترينا بهما حُزناً كثيراً



أَيْنَ ذَاكَ النَّبْعُ ؟ فِي أَيِّ ضَحَى
 سَنَلَفِيهِ ؟ وَفِي آيَةِ لَيْلِهِ ؟
 لَمْ نَزَلْ نَحْفِرْ فِي أَعْمَارِنَا
 ظُلُمَاتٍ لَيْسَ فِيهَا طَيْفٌ شُعْلُهُ
 وَرَحَقْنَا وَجَرَرْنَا مَعَنَا
 أَلْفَ قَيْدٍ فِي الْأَكْفِ الْمُضْمَحَلَّةِ
 وَوَجَدْنَا دَرَبَنَا مَقْبَرَةً
 مَا لَنَا فِيهَا سِوَى الْمَوْتَى أَدْلَهُ



حَدَّثُونَا عَنْ رِخَاءٍ نَاعِمٍ
 فَوَجَدْنَا دَرَبَنَا جُوعاً وَعُرْيَا
 وَسَمِعْنَا عَنْ نَقَاءٍ وَشَذَى
 فَرَأَيْنَا حَوْلَنَا قَبْحاً وَخِزْيَا
 وَرَتَعْنَا فِي شَقَاءٍ قَاتِلٍ
 وَكَفَّانَا بُؤْسًا شَبِيعاً وَرِيًّا



وعرِينَا وكَسُونَا غَيْرَنَا
وكَسَبْنَا القَيْدَ والدمْعَ السَّخِيَا



أَيْنَ تِلْكَ الْأَرْضُ ؟ مَنْ حَجَبَهَا ؟
نَحْنُ شَدَدْنَا بِرَنَاتِ الْفُئُوسِ
وَأَجَعْنَا فِي الدَّجَى أَطْفَالَنا
لِنَغْذِيهَا وَجُدْنَا بِالنَّفُوسِ
وَرَرَعْنَا وَحَصَدْنَا عُمرَنَا
وَجَنَيْنَا ظِلْمَةَ الدَّهْرِ الْعَبُوسِ
وَسَقَيْنَا أَرْضَهَا مِنْ دَمِنَا
وَمَنَحْنَاهَا لِأَرْيَابِ الْكُئُوسِ



أَيْنَ تِلْكَ الْأَرْضُ ؟ هَلْ حَانَ لَنَا
أَنْ نَرَاهَا أَمْ سَتَبَقَى مُغْلَقَةً ؟
لَمْ تَزَلْ فِينَا حَنِينًا صَامِتًا

وابتهالا فى شفاهٍ مطبقه
 والملايينُ حنينٌ جـارفٌ
 يتلظى ورؤى محترقه
 افتحوا البابَ فقد صاح بنا
 صوتُ آلافِ الضحايا المرهقه



صوتُهُم خشنه البؤس فما
 فيه دَفءٌ أو بريقٌ أو لُونه
 وحشاهُ الذمُعُ ملحاً قاسياً
 وشكاياتٍ وجوعاً وخُشونه
 صوتُهُم خالطه الصبرُ وكم
 قد صبرنا فى شُحوبٍ وسكينه
 لعنةُ الحسِ علينا إن يكن
 غَدُنَا كالأمسِ أقياداً مهينه !

الفهرس

٧	تصديق
٩	شجرة الذكرى
١٣	السفر
١٦	مرثية غريق
٢٢	عاشقة الليل
٢٦	خواطر مسائية
٣٠	في وادى العيد
٣٥	ذكريات محوطة
٤١	إلى الشاعر كيتس
٤٦	جحود
٤٩	جامعة الظلال
٥٣	خرافات
٥٨	مرثية يوم تافه
٦٢	غرباء
٦٥	الأفعوان
٧٠	الباحثة عن الغد
٧٣	الجرح الغاضب
٧٧	مر القطار
٨٢	في جبال الشمال
٨٨	ذكريات
٩٢	دعوة إلى الأحلام

٩٤	طريق العودة
١٠٠	يحكى أن حفارين
١٠٥	صلاة الأشباح
١١٣	الوصول
١١٦	الأرض للحجبة

رقم الإيداع : ١٠٧٩٠ / ٩٩

الترقيم الدولي : x - 6366 - 01 - 977

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب



هذا هو العام السابع من عمر «مكتبة الأسرة» .. ومنذ سنوات طوال لم يلتف الناس حول مشروع ثقافي كبير كما التفتوا حول هذا المشروع الثقافي الضخم حتى أصبح مشروعهم الخاص، وطالبوا باستمراره طوال العام. واستجبنا لهذا المطلب الجماهيري العزيز إيماناً منا بأهمية الكتاب؛ وبالكلمة الجادة العميقة التي يحتويها؛ في إعادة صياغة وتشكيل وجدان الأمة واستعادة دورها الحضاري العظيم عبر السنين.

لقد استطاعت «مكتبة الأسرة» .. أن تعيد الروح إلى الكتاب مصداً هاماً وخالداً للثقافة في زمن الابد التكنولوجية المعاصرة.. وها نحن نحتفل ببدء العام الس عمر هذه المكتبة التي أصدرت (١٧٠٠) عنواناً في أكثر من مليون نسخة» تحتضنها الأسرة المصرية في عيونها وع زادا وتراثا لا يبلى من أجل حياة أفضل لهذه الأمة.. و أحلم بكتاب لكل مواطن ومكتبة في كل بيت.

سوزان مبارك



١٥٠ قرشاً

مكتبة الأسرة
مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٥